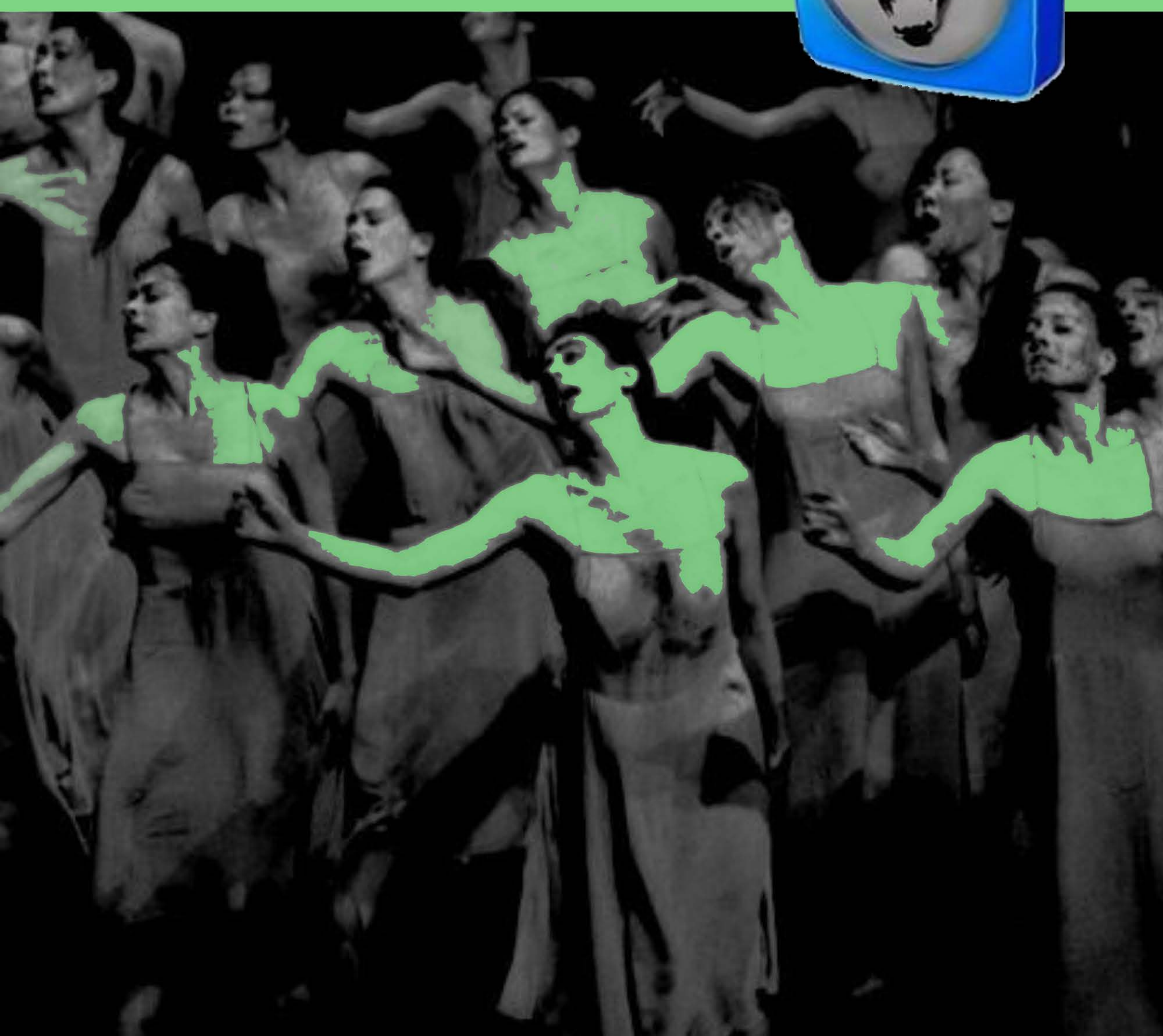
الكفار

السعيد عبدالغني

مدونة ابو عبدو



الكفار

السعيد عبدالغني

رواية قصيرة

إلى

المجانين والكفار

أغساق

كنت أقرأ ورقة غريبة وجدتها مرمية في بيت صديقي مجدي،لا أعرف من كتبها ،بها قصيدة بعنوان "أغساق "

في قلبي تتعافى أغساق العالم أحيانا

أنا الغواص في الأفكار النِيونية والمشاعر الفانيلية

رغم شبهة السجن عني في الوحدة.

أركب القطارات بين المدن

منتشيا بالمخدرات الحقيقية في جيب الأفق الأزرق

والمطر الجائع لفم غريب ظامىء ينهمر.

اشعل سيجارة في اخر العربة

والهواء بين بابيها يذكرني بالأبد

بينما رأسي يبحر في البلاد الصامتة مع الرجل الشاخص أمامي في الأرض .

المفاهيم الكبرى تتفاقم مع تناول البيرة " سقارة "

كأنها تخرج من اجرانها كبقر أكل وشرب عائدا إلى بيته.

لا بطل في الغروب يحاضر قلبي غير السراب المحتضر

ودفق الأفيون تحت اللسان بالخدر

والقش العشوائي الذي اقفز من عليه لكي لا تصدأ أجنحتي .

بلادنا غريبة علينا لكنها دافئة

وأدفأ ما فيها قلوب الحثالة.

رغم أني لا أؤمن بشيء واجتث وجودي من العالم

إلا أني اريد الإعتراف لأحد ما عن رؤاي البرتقالية

نعم أريد ان أعترف أمام زهرة أو قبر فارغ.

أغترف الموسيقى لأنها اعتراف ضمني على فساد القصيدة أحيانا

وأهيم في كل ملكوت خارج الجدر."

لم أكن أعرف إلى أي الشعراء تلك وسألنا بعضنا ولكن لم يكن يعرف أحد منا.

قال أحمد :إنه يتحدث فيها عن الوحدة والموت والتيه

فرددت أنا :ولكن ما معنى أغساق هذه؟

قال مازن:جمع غسق

فقال إبراهيم :إنها توحي لي بظلمة كعذاب القبر

قال مجدي بعد الضحك كثيرا ،هل تظن أن هناك من سيضربني في القبر؟سأخرج ....

فرد إبراهيم :ولكنه موجود في الدين!

فقال مجدي:ليس لنا علاقة بالدين وما فيه

فضحكنا جميعا وهم إسلام بالقيام وقال لي هيا لنذهب مشوارنا.ابتسموا جميعا خلسة ونزلنا.ركبنا أنا وإسلام الموتوسيكل ذاهبين إلى بلد مجاورة معروفة ببيوت دعارة كثيرة بعد إلحاح شديد منه ،ذهبت معه لامباليا بما سيحدث وبما سأرى.إسلام شخصية مشهورة في القرية فهو يعمل في مجلس المدينة،من عائلة صغيرة ولكنه كون علاقات كثيرة مع أكابر القرية ،مرتشي وله باع في الاجتماعايات والرياء والنفاق ومن إثر ذلك كان يعرف الكثير عن بيوت الدعارة ومن زوارها.أما على المستوى الشخصي فهو سريع البديهة وله شطحات غريبة دوما وسطنا وكاريزما كثيفة وجمل تحمل معنى كبير مع أنها كوميديا سوداء.ذهبت له عند بيته في طرف القرية وقال لي أنه يريدني أن أذهب معه لنتسلى قليلا فوافقت.كل دقيقتين كان يلقي السلام أو يرد السلام فقال لي إن هذا تمويه لكي لا يعرف أحدا ميولي الفكرية.فقد كنا منعوتين في القرية بالكفار مع بعض الأصدقاء أيضا.

كنا في بدايات ديسمبر والهواء يلفح وجوهنا ،النسمات كانت باردة وشبقية

فقلت له :هل تثق في هذا الرجل الذي سنذهب له؟

فقال بعنف: نعم طبعا ،إنه يعرف الكثير من النساء المتدنية إجتماعيا وثقافيا وماليا وسيأتي لي بإمرأة جيدة فأنا عطش للجنس جدا ،لا يوجد لديه نساء فقط ،بل لديه كل أنواع الممنوعات في البلد حشيش وفياجرا وترمادول ـإنه موسوعة المحرم ههه.

فأدرت وجهى لمنظر الأراضي الزراعية الخلابة وعيوني بدأت تدمع ،لقد دخلنا أحد الطرق الزراعية وقال مردفا:هو أحد الجشعين ولكننا سنأخذ مصلحتنا ونرحل.

وصلنا للبيت وهو بيت في طرف القرية الأخرى ليس له طرق سهلة للوصول لكي إن أتى أحدا من الشرطة التي غالبا ما كانوا يذهبون إلى هناك أيضا لقضاء حوائجهم الجسدية،كان اسمه فتحي وكان شخصا يبدو عليه سرعة البديهة وتبدو عليه وظيفته كقواد ويبدو عليه قدرته الكلامية جدا فرحب

وقال: يا مرحب يا مرحب بإسلام

ونظر لي وقال : يا مرحب ،نتعرف بالجميل ؟

قلت له إسمي : شمس

فرد عليه إسلام: هو صديقي ،لا تقلق منه

فقال:هو من يريد المرأة؟

قال إسلام : لا ،أنا كالعادة

فضحك وقال :أنت لا تشبع أبدا

فقال إسلام:أريد له بعض الحشيش

المغرب على وشك القدوم وكنت أنا ذهبت إلى هذه القرية من قبل مع بعض الزملاء في المدرسة لسرقة التوت من جوارها وحدث الكثير عند ذهابي لسرقة التوت في هذه الأثناء عندما كنت طفلا ،فقد وجدت إمرأة تغسل نهديها وكانوا شديدي السمار في النيل.كانت أول مرة أرى أجساد عارية لأصدقائي الذين تعروا ونزلوا ليستحموا وبعدها جنت أمي لعدم عودتي للمنزل ونادوا علينا في مسجد قريتي.

الرجل القواد فتحي رجلا لا أحد يعرف له أصل ولا ملة، يصطاد النساء بطريقة حرفية ،النساء التي تحتاج المال من الفلاحات أو النساء البدينة القبيحة التي يبغضها الجميع لكي يمارس معها من يريد أحيانا بدون مال أبدا.ملامحه قاسية ولديه أكثر من ندبة في وجهه فقد دخل السجن من قبل.

فكرت ونحن نمشي للبيت ما الذي يثير هذا الرجل للاستمرار في حياته أو يثير إسلام؟إنها أشياء فارغة تماما من القيمة

بالنسبة لي ولكنها مهمة جدا بالنسبة لهم ،كنت دوما أتأمل هكذا من إثر الطفولة أفعل ذلك وعندما دخلت كلية الآداب قسم لغة إنجليزية بدأت في القراءة للكثير من كتب التحليل النفسي.مشينا حتى وصلنا إلى عتبة البيت.المغرب قد أشرف وكان هذا هو الوقت المناسب لأن القرية لا يوجد بها كهرباء فلا أحد يعرف من يفعل ماذا؟أومأ لي إسلام بأن أخذ بالي من محفظتي جيدا لأنه ممكن أن تسرَق وأعطاني محفظته هو الآخر وقال لي "خذ بالك منها جيدا إنها قيمتنا هنا"أخذه الرجل للمرأة وكان هناك ضوء شفيف للقمر يعبر من النافذة عليها ،عارية وجسدها ممتلىء قليلا ولكن وجهها لم يكن ظاهرا ،نظرت من الفارق بين الباب وحلقه نظرة عابرة وهو يغلقه عليهم.

فقال له : ها هي ونتحاسب بعد أن تنتهي

وأغلق الباب عليهم وأخذني لغرفة أخرى وفرد قماشة

وقال لي : كم تريد من الحشيش؟ لا تخاف لا أحد غيرنا هنا

القماشة عليها فرش كبير من الحشيش الطري الطيع ورائحته نفذة بشكل شهي.

قلت له : بمائتي جنيه فقطع بمطواة ما يناسب المال وأعطاني إياهم

وقال لي: اجلس هنا حتى ينتهي صديقك

جلست أتأمل المكان ،مملوء بالكامل بأشياء قديمة وبه دخان لسجائر ولحشيش وبانجو تظهر رائحته جدا.جلس أمامى

وقال لي : خذ هذه السيجارة هدية ،عربون محبة

فابتسمت وقلت له : وأنا اقبل عربونك

أخذتها وولعتها وقال لي : ليس لك في النساء ؟ إن كان لك في الرجال عندي ههههه

سمعنا تأوهات المرأة ، صوتها خشن و إسلام يصادر عليها تأوهاتها ويقول لها : لم تصرخي بهذه الدرجة؟ هل أنا قوي جدا عليك ؟ويضحك بشره

فقال القواد:هى أيضا مشرئبة فزوجها لا ينام معها ههههه وصمت قليلا وقال : هنا اقل الأسعار الممكنة ،لن تجدها في أى مكان آخر

فقلت له : الحشيش قوي وجيد

فقال : أنا لا أعرف أن أحيا بدونه

أريد التحدث معه ومحاولة تحليله نفسيا والدخول والنفاذ في أعماقه ولكني أثرت السكوت لكي لا أسبب أي مشكلة لإسلام ،عالما غريبا جدا عليّ رغم أني وأنا قادم كنت لامباليا إلا أني الآن متحمس ،ربما بسبب الحشيش ولكن كم عليه هو أن يدخنه لكي أستطيع استجوابه.

خرج إسلام وملابسه ليست مرتبة بشكل جيد فقال له القواد:ما رأيك؟ أظن أنها جيدة جدا

فقال إسلام :نعم ،لقد شبعت

وأعطاه المال ورحلنا بسرعة ،وجهه قد تغير وشعرت بأنه مقبِل على الحياة عكس ما كنا عليه قبل أن ندخل هذا البيت ،ركبنا صامتين حتى تحدث هو وقال:غريب أمر الجنس ،يؤثر على نفسيتي بشدة ،أشعر أني حي به

فقت له:هذا طبيعي جدا

فقال:إمرأة جيدة وتجيد الجنس واشرئبابها يشهيها أكثر،جميل أن تشعر أنك مُشتَهى ،إنها تقريبا لذة الكثير من الناس مجردا عن الجنس حتى.

لم أرد أن أحدثه في أخلاقية الأمر ولا عن استغلاله لضعف ووهن المادة عند المرأة لكي لا أفسِد عليه نشوته بلا طائل فهو يجيد التبرير الديني وغيره من التبريرات فهو يبرر كل ما يفعله بمصطلحات كبرى وإلى الآن بعد صداقتنا لسنوات لا أعرف له هوية أو معتقد ولكني كشخص يبرر للأخرين ما يفعلونه دوما والبرزخ بين أفعاله وأقواله لم أتحدث ولكني أعزو كل هذا إلى هربه من المرض النفسي فقد كانت أخته مريضة وانتحرت من مدة بسيطة من وراء نوبات الهلع.

يقود بعنف وبسرعة فقلت له:اهدأ قليلا ،الأمر لا يحتاج كل هذه السرعة والطريق ليس جيد

فقال:لا تخف لن نموت أنا أجيد القيادة

فقلت له:ليس خوفا من الموت ولكن ليس بعد كل ما فعلته في حياتي أموت بسبب موتوسيكل ،كم هذا عبثي؟

فضحك وضحكنا معا بفرط وقاد بسرعة شديدة وصوت الموتوسيكل يئز والسباب يتصاعد من السيارات على الطريق لنا والهواء يلفع وجوهنا.

مجتمع الحشاشين

اتصل بي صديقنا الثالث أحمد وقال أنه هو ومازن عند مجدي في البيت وأن نذهب إليهم إن كنا متفرغين ،أخبرته أني مع إسلام وسنكون عندهم في غضون ربع ساعة.وظللت أتحدث في رأسي وكنت طوال الوقت الذي لا يوجد به تفاعل أتحدث في رأسي وأهرب من البيت كونه خالي تماما وأبغض الوحدة والكآبة باحثا عن كل ما يفرقني عن ذاتي ويستلبني منها والآخر كان من أدوات ذلك.

أحمد ابن إمام الجامع وشيخ القرية الأكبر،أكبر منيّ بسنتين،لديه الكثير من المشاكل مع عائلته وأبيه بالخصوص كون أفكاره غريبة عنه ولا تبجل ما يبجله،يواجه أبيه دوما ويتناقش معه ،مرة يصمت ومرات لا يقدر على الصمت لما يقوله أبيه وما يفعله وما يبثه في خطب المسجد.

وصلنا إلى أسفل البيت وهممنا بالطلوع كان أحمد هابطا على الدرج بسرعة فقلت له : ماذا هناك؟ لم تمشي بسرعة هكذا ؟

فقال:أبي ينتظرني لا أعرف لم؟ اتصل بي وكان يزعق كثيرا

فقلت له :طمني لما تنتهى ونحن سنجلس هنا

أومأ برأسه وكان حزينا ومضطربا جدا.عاد لبيته ،وجد أبوه ينتظره على بوابة بيتهم وأمسك يده ودخلوا معا وقال له:أنت ملحد؟ ابنى أنا ملحد ؟ابن شيخ الجامع وإمام القرية

أمه كانت واقفة متعصبة للغاية حتى اقتربت منه وصفعته على وجهه وقالت:لا يوجد غير شمس هو الذي أغواك بالكفر ،إن هذه ليست أفكارك ،مستحيل يخرج من صلبي هكذا إنسان

فقال أبوه:الناس تهددني بك وتقول بأني لا يجب أن أطلع أو أؤم الناس ثانية كوني لا أستطيع السيطرة على اعتقاد ابنى الذي كفر

قال أحمد:من قال لك ذلك؟إنهم يريدون الوقيعة بيني وبينك أو أن الشيوخ تريد أن تأخذ مكانك ومكانتك في القرية والمسجد

قال أبوه:أقارب أمك وأقاربي من قالوا لي ذلك

فقال أحمد: لم لايواجهوني أنا وأنا أعرفهم قدرهم ؟ كل إنسان يجب أن يهتم بحاله فقط ولا يهتموا بي!

فقال أبوه:دعك من هذه الترهات وستصلي الجمعة القادمة في المسجد والصلوات كلها في المسجد.فبطريقتك تلك سينقطع رزقنا وسينقطع من يصرف عليك

ذهب إلى غرفته ولم يرد عليه،جلس على سريره وأخذ يفكر هل يفعل شيئا ضد اقتناعاته أم لا ؟هل يكون مزيفا وتكون

أفكاره أنتيكات في المناقشات فقط؟وهل يعتبر التمسك بأفكاره أمرا متعصبا ومتزمتا؟ولكنه أقنع نفسه بأن لا يكون في القرية يوم الجمعة أو يتحجج بأي شيء.لن يستطيع الان الذهاب إلى أصدقائه. الصديق بالنسبة له هو من تحكي له هواجسك الانتحارية والمحرمة والجنسية والابداعية والاعتقادية والشكوك والانكاريات، من لا تكون محتجبا أمامه ولا خائف من رأيه، من يدخل معك فى صراعك النفسي ويضحى بجزء من طاقته الاحتمالية للبشاعة، من لا ينصحك بأي شىء ومن يساعدك فى ان تستقل نفسيا عن كل الناس وكل شىء ، ومن لا يمنعك من الانتحار أو من اي فعل غرائبي ،وكانوا هم كذلك معا.

أخذ فكر في من قال لأبيه ،من وشى عليه؟ بالتأكيد هو هذا الولد الذي كان يزدلف منهم بغية الاختلاف لا بغية أفكارهم وهذا ما أكدته أخته الصغيرة عندما دخلت غرفته فسألها من قال أني ملحدا؟ فقالت له:أحد ما من عائلة شاويش ،أخبر أمه بكل ما يدور في مناقاشاتكم وقال أنكم كفار وأمه لا تتوصى أخبرت أمك وأمك أخبرت أبيك وانتشر الخبر في القرية وأنت تعرف تيمة هذه الأمور في القرية كيف تنتشر.لم يستطع الخروج هذه المرة لمقابلتنا لكي لا يثير حفيظة أبيه ولكي لا يستفزه أكثر.

طلعنا على السلم أنا وإسلام إلى مجدى ومازن وجلسنا نتضاحك ولكني كنت قلقا عليه ولم أرد أن أتصل به لكي لا أزعجه أو أسبب له حرجا أمام أبيه،تركته إن أراد أن يتحدث فليتحدث.

مجدى كان خريج كلية علوم،من عائلة كبيرة في القرية ويحب الكيمياء والفيزياء كثيرا ،ابنا وحيدا وأبيه كان في الدور الأول من المنزل ،قعيدا لا يتحرك بعد أن كان لا يمكث في مكان.مجدى كان يحلم أن يغير أدمغة الناس وكان يبوح لنا بما سيفعله بعد أن ندخن الحشيش. كانت له نبوءات المجانين العجائبية غير التجارية عن مصير العالم، رغم أنها وهوم استثنائية كما كنت أسميها دوما>

أما مازن فقد كان تائها ومضطربا أشد الاضطراب مدرس للغة العربية وأكبر منا جميعا ،سافر مدة طويلة ودخل السجن لكونه شيوعيا مرة وكونه متطرفا ولكنه الآن هادىء جدا إلا السباب وسب الدين بالخصوص الذي يكرره دوما في أحاديثه فالناس جميعا عنده أولاد حرام.

مازن: هل معك حشيش أم ذهبت معه بلا جدوى؟

مجدى :بالتأكيد معه فهذا لا يخلو جيبه من المخدرات

قلت لهم : نعم معي

فقال مازن:أوه ،أيتها الالهه شكرا لكم

مجدى:حشيش صافي أم مضاف عليه مضادات صرع كما حللته مرة

فقال مازن قبل أن أنطق: لا يهم ،المهم هو أنه به رائحة الحشيش.لا تحلل لنا الحشيش ،نريد أن نتناوله ،أين هو ؟

أخرجته من جيبي فقام مازن وأخذه وقال:إكسيري المطلق بصوت عالي

فقال مجدي : اللغة العربية عندما تقترن بعقل مهلوس تصبح لها دلالات أخرى ههههه

فرده على المنضدة وبدأ بتقطيعه لكى يعده سجائرا لندخنها ،كان سريعا جدا في اللف وماهرا ،ما إن لف سيجارة وولعها وقال:تفضل يا قرة عين الكيمياء والفيزياء ههه

بدأ مجدى بالتدخين فقال له مازن وهو يلف سيجارة أخرى :ماذا تريد أن تفعل في العالم والإنسان؟

مجدي: لقد وجدت طريقة لاستئصال المخيلات جميعها من الرؤوس بأكبر قدر ممكن ليس بالكامل لكي يستطيع الناس التفكير ،وجدت طريقة بيولوجية بما إني رب الواقع ذلك بلهو من مخيلتي وهذه هي المفارقة في التجريب غافلا أي أخلاقية معروفة. سأبدأ باستعمال السم أو الاكسير على الناس البسيطة التى لا تنتج من مخيلاتها انتاجات ملموسة ولكن من هنا صراعي مع الشعراء والصيانة في التكوين.

فقلت له: هل استغلال الناس بمعرفتهم للبحث أخلاقى؟وهل استغلالهم في البحث بدون معرفتهم غير أخلاقي؟

مجدي:ولكنى أخدم البشرية جمعاء ببحثي _قال هذا بتعجرف_وآمن به .

فقال مازن :ما رأيك أن تغير في كيمياء الناس لكي يكونوا منتشين بالحشيش دوما ولاإراديا ههه

قال مجدى بحزم: جادلت الامر مع نفسي كثيرا ولكني في النهاية انهيته بالاقتناع في داخلي بجدوى فعل ذلك لتخليص الناس من الألم حيث الألم كله قابع في الممكن نفسه .سأبدأ بمن أعرفه من أناس ،بتجريب ذلك على اهلي اولا المحتجزين في بيتي .تحويل الإنسان لآله أخيرا بيولوجيا بدلا أن يكونوا آلات معطلة الوهيتها بالخوف والسلطة.

مازن: إياك أن تجربه عليّ،لدي حضارة قائمة في مخيلتي،وستدمر أكبر حضارات العالم

مجدى:ربما يا مازن ههههه،لنجربه على إسلام ههه،أين هو ؟

مازن: دخل لينام قليلا

مجدى :اه ،يضاجع هناك ويأتي هنا لينام،سأقوم أنا لأتمشي ،هل سيأتي أحدا معي ؟

مازن :سآتي معك

وقلت له :أنا أيضا سأتي

فقال: لنسمع أولا نظرتك عن العالم بعد تدخين الحشيش يا شمس،تصمت كثيرا ،ألقي لنا المجازات

فقلت: مجتمع الحشاشين ، مجتمع غريب يضمنا فقط ومن أراد الدخول نعمل له اختبارات بالحشيش ..كل شخص فيه في النشوة يصبح إلها نرجسيا مُرحبا بأي شيء يحكي له والضحك عليه مثما يحدث الآن ومرحب بأي كائنية يتقمصها من إله لحيوان. نشترك لكي نشتري الحشيش ونجلس في أحد الأمكنة المهجورة في ظلام الا من ضوء بسيط.كل مرة يقوم أحد ما يقوم هو بإعداد السجائر.شعائر النشوة الحديث في مفاهيم المكبوت ومنها او على رأسها الجنس.تكون أنت يا مازن الإمام المبجل للجلسة لأنك تعرف اللغة العربية جيدا

ضحك مازن جدا وضحكوا جميعا

وقال لي :متى أول انعقاد؟

فقلت له :قريبا جدا

وأكملت الحديث في رأسي أما إسلام الشخصية التي لا تتحدث أبدا عندما تنتشي ابدا وكنت استغرب ذلك جدا.القعدة هذا اليوم عليه لاستنطاقه حتى ننسى الأمر ونبدأ حكاية أخرى وننسي ونبدأ حكاية أخرى وننسى.الإسم خطر على بالي وأنا أدخن الحشيش مرة ،لم لا يكون لنا مجتمعا؟ نجلس فيه معا ولأرى بنية خبيثة ماذا يحدث للناس من أثره؟.كيف يمتثل الشاربين له

وماذا يجعلهم يحسوا وينطقوا.استمعت لأساليب كثيرة وكلها أساليب تُهدَر فيها الذات بمشاعرها المكثفة القوية المكبوتة.بينما أنا لهاجس الجنون المستمر الذي كنت أشعر به.كنت أقوم وأمارس دور المجانين وأفرح معهم جميعا .كنت أراقب نفسي أنا أيضا ماذا سأفعل ودوما كنت أكتب ذلك وعندما أستيقظ أجد قعر روحي الغيبي مضطربا جدا وربما المكبوت ذلك هو أكثر حقيقية من جميع الممارسات الواعية الظاهرية.رغم إقامتي في المخيلة كان لاوعيي باطلا بالمقارنة عن ما يفعله الحشيش بي وكانت كل مرة مخرجاتي السلوكية تكون جديدة وخصوصا الكتابية التعبيرية.كنت أحيا مع آلهه اليونان والرومان وأفهم عاطفيا وأعتنق في ذلك كل ما يدور معهم .الحشيش كان عبثا آخر مثل كل العبثيات الأخرى التي كنت أفعلها لمداراة وجودى وعلته الطائشة.

أنا ذات منزوعة التقديس من كثرة اللاانتماء وكثافته.لا أستطيع أن أؤمن ولا أستطيع أن أُكون ثابتا واحدا في حياتي كلها،أعلم أن ذلك خطير على استمرار وجودي في العالم ولكني مع ذلك لا أفعل شيئا حياله.تفرقت ذاتي بالفكر وتفرق وجداني من كثرة الوحييات والاستلهامات والمدرَكات الخيالية.عنيفا مع كل ما يُخالطنى لاطمئناني ومسعور تجاه الخلخلة والرفض ولا أعرف أي شيء عن التعيين لأي شيء في العالم حتى الحسي بدأت أكفر به.إن عاملنى الناس على أني واحد سيجدوا التناقضات

الشديدة أما إن عاملنى الناس على أني عدد فلن يجدوا شذوذا بل تماثلا من جنس الوجود هو.حيث لا شيء فيه واحدا لأن لا شيء يقدر على الأحدية سواه.لا أعرف كيف أطيع أي سلطة بأنواعها اللامرئية أيضا.هربت من التشيؤ بالصوفية الذهنية وهربت من اللامعقولية المطلقة باللا.أكفر بسهولة بسبب القلق من عبادتي غير المقصودة لأناي والأنا المجتمعية أو المفارقة.لا معيارية لدي ولا مقايسات مفاهيمية أتخذها سوى التجريد الذي يوغل في أصول الأشياء.لدي نزعات انتحارية لا أُواريها أبدا رغم الوعود من التفكير

الميثولوجي بالالوهة في النشوة.

كانت عادتنا أن نتمشي بين قريتنا والقرى المجاورة على اليمين واليسار أو نتمشى في الأراضي الزراعية ،نتحدث ونحن سائرين في كل ما يعترينا من مفاهيم وحقائق ووهوم.

عندما هبطنا من السلم وجدنا "ذبابة" شخصية مركزية في القرية جالسة على المصطبة التي أمام البيت وهو بلا أخلاق بلا دين ،منافق بدرجة كبيرة ووصولي إلخ والجميع يعرف ذلك وكان يشبه الإذاعة فينقل الكلام بين كل الناس وكل الناس.بدين وكرشه أمامه عالي وكان له توق للتودإلى من لهم سلطة حتى يقال أنه من كثرة حديثه أجلسوه على زجاجة في النهاية فلم يعد يتحدث عنهم.

قال وكانت هذه الجملة المشهورة له:حبايبي وولاد حبايبي ،كيف حالكم؟

كانت يريد أن يعرف أي خبر عنا لكي ينقله ويستمر هكذا في المشي في القرية لمعرفة أخبار الناس.كانت كل الناس "حبايبه" ولم يكن أحدا يحبه على الإطلاق فرغم ضخامة جسده كان يخاف خوفا شديدا مِن من يتطاول عليه أو يناديه باسمه رغم أنه ثلاثيني.

قال:كيف حال أبيك؟

قال له مجدى:جيد فمسك يده وأخذه بعيدا وقال له :كنت أريدك في موضوع ،أريد منك بعض المال ولم يكمل جملته حتى قال له مجدي:من أين؟أنا الفقير إلى الله وترك يده ومشى بعيدا عنه فقال:نحن أقارب هل هكذا تعاملني؟ لم يبدي مجدى اهتماما ومشى بعيدا وبعد فترة قصيرة من الصمت وجدنا أحمد في المدى يمشي مشيته المعتادة ولكنه حزينا جدا كأنه يحمل صخرة سيزيف ولا يعرف ماذا يفعل بها؟لم نكن نعلم أنه جاء ليعرف هل نحن كفار أم لا ؟فالإشاعة وصلت له وكان يريد نشرها وقد ساعد في نشرها فعلا.

أحمد كان يقرر أن يخفي ما قاله أبوه له ولكن يجب أن لا يُرَى معهم ثانية بشكل كثيف حتى لا يتسبب ذلك بمشاكل رغم أنه كان عنيدا جدا إلا أنه يحاول أن لا يكون متزمتا في التعامل مع أبيه.

سأله مازن بلغته الفصحى المفخمة : ما بك يا فتي ؟تهبط أذنيك كشيطان مطرود؟

فلم يرد أحمد ورمقه فخفت صوت مازن وقال له برقة ثانية:ما بك؟ ماذا حدث؟

فرد أحمد وصوته مختنق:لا شيء تشاجرت مع أبي فقط

فقلت له:اهدأ واحكى لنا

فرد:لا شيء ليُحَكى،معكم حشيش ؟

قلت له :لازال معي قطعة ،دخناه منذ قليل وادخرت لك جزءا هل تأخذه أم ندخنه في الظلام على الطريق الزراعي؟

فقال: ندخنه لا أريد أن أبقى وحدى

فوضع مجدى علي كتفه ذراعه وضمه وأومأ لمازن أن يكف عن المزاح ومشينا يحاول مازن تمثيل لنا الأدوار الكوميدية ويسخر من كبار القرية فرجلا منهم كان يخاف خوفا شديدا ولم تكن البيوت بها حمامات إلا المسجد فكان ينادي على جاره بأعلى صوته في منتصف الليل : يا عبدالحميد ،يا عبدالحميد ،تعالى لنتبول في المسجد.

وبدأ مازن من تأثير الحشيش يقول خرافات في عقله من البيت الخيالي الذي يحترق في الأفق إلى القضبان التي تدخل في جسده.كان خائفا جدا حتى وصلنا إلى شجرة التوت التي جرت

عندها الكثير من محادثاتنا وشجرة التوت تلك كان يقال في القرية أنها مسكونة بجنية مخيفة تقتل الناس وتختطفهم إلى أعماقها تصل إلى 6 متر ومتفرعة جدا حتى قتل الجنية جد مجدي والرواية أنه مسك الجنية من عنقها وحزه بخنجر قديم كان وارثه من أجداده وأمام الشجرة كان هناك تفرع من النيل ،وفي تلك المنطقة تحديدا كان يغرق كل من ينزل وهذا حدث بالفعل أكثر من مرة فبدأ التفكير الميثولوجي يعمل كثيرا في أدمغة الناس.

فقال مازن:أنا لا أطمئن إلا هنا ،أطمئن أكثر من بيتي

فقال مجدى بعدها بثواني بصوت خافت وهو يلف سيجارة الحشيش "الليل يا صاحبي للسكر ، معزى للافكار والمشاعر ، الليل لله ، والشاي السخن والحشيش اللى يخليك تطفى على سطح العالم ، وكنز " سقارة " اللى تصاحبه سكرات الشعر زى العسل على الريق ، الليل للمكاشفة والكشف ، للجحيم اللى مبتوصلش ليه ومبينتهيش ،الليل للتسطير والتمول المضروب وزيت العتمة يندلق على صدرك المتخبي فيه حبيبتك السمرا ، الليل مش للنوم ، للكلام فى الراس والتبشير بالحب فى الشوارع وسط المحطات والوداعات ، الليل تلقى فيه الأموات ، تبارك القعدة مع القصيدة لوحدك وتولعلك السيجارة وتخمس معاها النفس الاخير ، الليل ليا مش لغيرى "

فقال مازن : الليل للكفر بالعالم فى القلب،للايمان المهزوم بالرب ،برواح القدرة بكامل الإرادة للعشق والشوف من جديد ،للزهد فى النط من على أسوار السجون،وتهديم الغريزة الشهوانية للجنون ،الليل يا صاحبي بيذل بالكيف ومن غيره، الليل للاستسلام للسطل والشفقة على النفس.

مش عارف أفكر إنى حي أو أحس ."

فقال أحمد :لا أريد أن أعود لهذا البيت ثانية ،هذا الشيخ يعذبني نفسيا

فقال مازن:حاول التقية معه في الأفكار والمشاعر

أحمد:لا أستطيع أنت تعلم طبيعتي فأنا لا أكذب ولا أنافق

مازن:أنت مجبور على ذلك

مجدى : صعب جدا أن تحيا بهذه الطريقة في هذا العالم ،ستفقد كل شيء بهذه الصراحة المؤذية ،أبوك مستعد أن تكذب عليه بل يريدك أن تفعل ذلك

فقلت له :يجب أن تكذب ،أو ليس كذبا تناور ، توارب الحقيقة ،تحافظ على سقف المحرم في المجتمع ولا تتعداه

أحمد:أنا حر،أنا حر في حياتي

فقال مازن وهو يقاطعني :أنت تحيا في مجتمع ولك علاقات مع أناس وهذه العلاقات تتحدد بمعاييرك ومعاييرهم ليست معاييرك وحدك ،لا أقول لك أن تنسلخ من ذاتك لا ،بل أن تراعيهم فقط .

فقال أحمد : حاضر سأحاول ولأرى إن كنت سأنجح أم لا وصمت قليلا وقال لمجدي:هل انتهيت من لف السيجارة ؟

فقال مجدي : نعم ،خذها وأعطاها له وبقي يدخن ونحن جالسين على شط النيل ننظر إلى المياه التي تمر ببطء أمامنا ،كل أحد فينا في ملكوته المطلق ،شاردا في أعماقه.

حتى تكلم أحد بلا توقف "هذه الأيام أشعر بوحدة عميقة.وحدة مثل قفص في الليل ضائع بين سجون الأرض وبراح في الفجر ضائع بين السماوات.ولذة التدمير الذاتي تشبه لذة الموسيقي الأوبرائية أو تشبه لذتي المقرفة بالهبوط للعالم من الرحم الأمومي أولا ومن الرحم اللغوي ثانية.جرحت نفسي كثيرا ولا أخفي هناك بعض اللحظات الساحرة كل مدة بلا سبب تظهر وأنا خلف سواتر حجبي عائشا في مخيلتي.لا شيء ينجي من جوعي لملتبِس ،لا كتاب،لا أحد،لا إله.أجد صعوبة شديدة في الحياة وممارسة اليومي وأغرق كثيرا في الشرود حتى لا أشعر بجسدي كله وأكون طوافا بين ألوان متداخلة.حدسي مصفَّر تماما،لا أتوقع أى شيء غير هذه الدوامة المأساوية تدور مرارا وتكرارا.لا أعرف أحيانا أنا غير موجود تماما ،لا أتحدث أي لغة ولا أفكر في أي شيء.لا يد تصقلني من عدمي

ذلك لأن كل الأيادي خائفة من الاقتراب أو صدقا أنا لا اقترب من أحد المسافة التي تقربني من كنهه المباشر وتقربه من كنهي المباشر.أشطب بياضا كثيرا من العالم ومنيّ."

وقام من جلسته بصعوبة ومشي بعيدا ولم يتحدث أحد فينا على الإطلاق ومكثنا ننظر للنيل حتى مشينا واحدا تلو الآخر بلا وداع وبلا حديث كأنه أمطر علينا كلمات تكفي للتفكير فيها أياما طوال.

لم أنم هذه الليلة رغم بقائي على الفراش لخمس ساعات أتقلب ولا شفاء من القلق هذا على أحمد و مازن ومجدي كذلك.لم أكن أعرف ماذا به؟ وماذاحصل مع أبيه؟قلبت كل شيء في رأسي وتوقفت على أني يجب أن أعرف ماذا يدور مع أبيه ولكن كيف أعرف؟

الكفار

خرجت في السادسة وحيدا لأتمشى وأزور من فارقني،كان لدي حنين جارف لأمي وأبي فذهبت لزيارتهم.وهذه العاطفة تجاههم تزداد عند اختناقي النفسي فأذهب لأحدثهم .المقابر وسط الأراضي الزراعية حبلى بجماليات كثيرة من أناس وحبلى كذلك بأناس بشعة،الكلاب فقط موجودة تنبح والفلاحين الذين يديرون ماكنة مائهم على الأراضي.تفاجأت من نظرتهم لي على غير العادة وعدم ردهم السلام أو صباح الخير.بعد وفاة

ابي وأمى في حادث سيارة ونجاتي أنا لم يكن هناك أقارب يسألوا إلا كل فترة من بعيد وقد وضعت حدودا منذ ماتوا في التدخل في أموري.دخلت بدون أن أقول أي شيء حتى وصلت إلى المقبرة وبدأت بالحديث: سلام عليكِ أمي،سلام عليك أبي.أنا بخير ،كل شيء على ما يرام لكني وجدت نفسي مختنقا فأتيت إليكم ،إلى ملجأي المفقود في أرض كريهة.توقفت عن الحديث عندما سمعت صوت سعال من بعيد حتى اقترب ودخل من بين المدفنين،كان والد مجدي

فقال لي:أهلا بالغالي

قلت له:أهلا بك عمي

فقال:ماذا تفعل هنا يا ابني في هذا الوقت؟

فقلت:وجدت نفسي مختنقا فأتيت لأزور والدي ووالدتي ،أحكي لهم مأساتي بعد وفاتهم

قال:لا عليك يا ابني ،أنا أتيت لأم مجدي أقرأ لها الفاتحة وانتهيت

فقلت:الله يرحمهم جميعا

فقال:تعال يا ابني لنرحل وتسندني

وقفت بجواره ومسكت يده ومشينا صامتين لفترة بسيطة حتى خرجنا من المدافن وبدأ بالحديث بلا توقف: لم يا ابني لا أحد

يسأل عنيّ من أصدقائي ولا من أهلي؟هل أصبحت مهمَلا وبلا قيمة إلى هذه الدرجة؟أتمنى أن أموت فعلا لأتخلص من هذا الألم بعدم تقديري ولو بقدر بسيط لما فعلته كله في حياتي.لم أفعل إلا كل خير للناس ولا أحد يتذكر ذلك.

فقلت له:لا يا عمي أنت مهم في حياة أناس كثيرة وفي حياة مجدي خصوصا ،هو يحبك جدا ويقدرك جدا ويعتمد وجوده النفسي على وجودك

فقال:أعرف ، مجدي طيب جدا وطباعه مثل طباع أمه

فقلت له : نعم إنه كذلك ،من أطيب من عرفت

فقال:صحيح ابني خذ بالك هناك إشاعات عنكم انتم الخمسة أنكم كفار ،سمعت ذلك من أحد وقالها لكي يحرجني بمجدي أو ليعايرني بذلك ولكني لم أجب عليه بشيء ،سأقول له فقط يستيقظ من النوم على ذلك وحذر الباقين إسلام ومازن وأحمد

فقلت : يا إلهي ، من قال عنا ذلك ؟ هل هذا يصدَق؟

فقال:لا اعلم يا ابني

فقلت :لذلك تنظر لي الناس باستهجان ولم اكن أعرف ما الذي يحدث ،أنت تعرف ان صلتي بالناس غالبيتها مقطوعة إلا هم

فقال: خذ بالك يا ابني ،الناس أحقر مما تتخيل ،كل من يفكر ينعتونه كذلك ،كل من يخالف أعرافهم ومعتقداتهم

فقلت :إن كفرونا سيستحلوا دمنا بعد ذلك

قال:هذا ما أقصده ، يفضل أن تبتعدوا فترة عن بعضكم ولا تٌروَا مع بعضكم وتعمقوا علاقاتكم الواقعية وتهتموا قليلا بالمظاهر الدينية

صمتنا قليلا وقال لي :اتركني هنا ،أخبر مازن وإسلام وأحمد،ولا تجعلهم يخافوا ،إن دعمتكم عائلاتكم لن يحدث شيئا ولن يقترب منكم أحدا

كنا قد وصلنا بالقرب من منزله فتركت يده الرقيقة وقلت له :وداعا عمي

فقال:سأخبر مجدي أيضا ،حفظك الله يا ابني

مشيت مشتتا لا اعرف ماذا أفعل؟ولا إلى من أذهب؟ وواجهت حقيقة أني بلا روابط مع الناس تماما ،لن يدعمني أحدا من عائلة أبي وعائلة أمي وأظن أن عائلات أصدقائي لن تدعمهم باستثناء مجدي وأبوه الطيب الرقيق.رغم أنه عائش في ملكوته بتغيير مخيلات الناس وجعلهم آلات فل ينتبه ذلك وسيتفه من الأمر كعادته ولكني أعرف الناس وأعرف طريقة تفكيرهم وقد خبرت ذلك بعد وفاة أبي وأمي كيف كانوا يريدوا ان ينهشوني ويأخذوا كل ما خلفوه وقد سمعت بأذني " لم لم يمت هو كذلك معهم ؟ " أحاديث كثيرة في رأسي.هل هذا هو ما يقلق احمد ؟ هل هذا هو سبب شجاره مع أبيه؟أظن ذلك وأظن أنه لم يكن

يريد إخبارنا ولكن من وشي بأحاديثنا.سأتصل به لأعرف ، مسكت الهاتف وبدأت الاتصال

رد أحمد بصوت مكتوم :صباح الخير

فرددت:صباح الخير ، أين أنت؟ أريد ان أراك

فقال : قابلني بعد عشر دقائق عند الشجرة

وهممت بالحديث لكنه أغلق الخط ،غيرت وجهتي بدلا من البيت إلى الشجرة ولكني خرجت من الطريق الزراعي لكي لا يراني أحداا ويبدأ بالنظر والحديث السري عنيّ.لم أكن أريد أن أحس بهذا الأمر.وصلت إلى الشجرة سريعا وبعد دقائق وصل أحمد وقال لي:آسف لإغلاق الخط إنهم يراقبوني في البيت

فقلت:لم يراقبونك؟

فقال:لا شيء

فقلت:عرفت بأمر اننا كفار فلا داعي أن تخبىء شيئا

فقال :كيف عرفت؟

فقلت:هل تظن أن أمرا هكذا سيختبىء في صدور الناس؟أنت تعلم الفلاحين وكلامهم عن كل شيء وهذا موضوع حيوي سيريدون نشره والتحدث فيه

فقال:لا اعرف ماذا افعل؟ ألا يكفيني ألم الفكر ولا معنى كل شيء؟أنا أكل ذاتي وهم يريدون أكلي كذلك

فقلت : اهدأ

فقال:والدي يريد أن يبعدني عنكم،لقد تم حظر لقائكم ثانية.أنت تعرف أنه لا يريد تصديق أن إبنه يفكر بطريقة أخرى وحده،يجب أن يكون أحد أغواه بذلك وأنتم المعنيين بالغواية لكي لا يضع احتمال أن من صلبه خرج كافرا

فقلت :لا تقلق سنحل الأمر ،إن كان الأمر هكذا فليس ضروريا أن نلتقي فترة وأنا سأخبر مازن وإسلام،عد الآن للبيت لكي لا يشك أبيك بشيء وأنا سأخبرهم ولكن هل تعرف من وشى بنا؟

فقال: نعم إنه ابراهيم الولد الذي جاء ليجلس معنا بغية أن يكون مختلفا

فقلت: اه ،فهمت الآن

اتصلت بمازن بينما مشى أحمد لبيته وعندما قلت له أنه إبراهيم هذا الولد الذي يبغي الاختلاف

قال : سأخذ حقنا منه لا تقلق ،لقد كان حاضرا يوم كنا نتحدث عن عذاب القبر وبالتأكيد قال لأمه الثرثارة

عاد أحمد للبيت فوجد أبيه ينتظره ومعه شيخ آخر ،يبدو عليه أنه جاء لأجله ،كان يجهزون عطور وحطب وأشياء غريبة

ولكنه لم يعرهم انتباها فدخل إلى غرفته حتى نادى عليه أبيه وقال له أنه يسكنه جنا وأن هذا الشيخ وهو سيخرجونه الآن ،تعصب أحمد بشدة من هذا الكلام ولكنه استقر على فكرة خبيثة مضحكة وجاراهم وقال لهم :هيا طلعوا جني،أنا بالتأكيد ملبوس يا أبي،مستحيل أن يخرج من نسلك الشريف أحدا كافرا،مستحيل يخرج من صلبك وضرب أبيه على وجهه والشيخ بجواره كذلك وقال :إنه جني ،أخرجوه منيّ وأخذ يتلوى بجسده على الأرض فبدأ الشيخ المزيف الذي كان صديق لأباه وهو شيخ فاشل في الدعوة اتجه لإخراج الجن من الناس لكي يكسب رزقه حتى اغتنى جدا بقول آيات قرآنية فهدأ أحمد ببطء لكي يوهمهم بفاعلية ما يحدث ورموا على القدر الذي كان يضعون فيه ألاويح وزيت ملح فطرقع وأحمد يتلوى ثانية فقام أحمد وضرب الشيخ على وجهه وهو يرتل واقف فيرتل بصوت أعلى فيضربه أحمد على وجهه والشيخ يقول :ما هذا الجن العنيف !.

لم يكن أحمد يجد معنى في هذا كله ولم يكن يعرف ماذا يفعل هو ولا ماذا عليه أن يفعل؟إنه يعبث ويجاري خرافاتهم فقط.كان يواجه الطفل الذي داخله ،الطفل المعذَب والنوستاليجا إلى الحياة الشفافة في الطفولة،شكل الله وصورته الأولى فيه.الاغتراب كان رهيبا داخله ،اغترابه عن كل شيء فيه وكل شيء يدركه بعد تحصيل كل هذه الأفكار في الكتب.

استيقظ مجدي من نومه ملولا حتى وصل أبيه ورآه فقال له :أريدك في شيء مجدي

فقال مجدي: هل هناك شيء يا أبي؟

والده:نعم ابني ،اغسل وجهك وتعال أنا في غرفتي أنتظرك

غسل مجدي وجهه وهو يفكر ما الذي حدث؟وماذا يريد أبيه؟ذهب إليه في غرفته وجلس أمامه وقال له أبيه:هناك كلام دائر في القرية أنك وأصدقائك كفار. ضحك مجدي جدا ولم يستطع أن يقاوم لضحك وقال لأبيه:فعلا ،كفار هههه

قال أبيه:نعم ابنى والموضوع خطير وجدي ،إن كان الأمر مضحكا بالنسبة لك فلا يهم ولكن أصدقائك يتضرروا

قال:كيف يتضرروا ،أنا أعرفهم جيدا ،آخر همهم كلام الناس

قال أبيه:ولكنهم لديهم عائلات ولا تنسى أن والد أحمد شيخ القرية وأنت أيضا غير محبوب كونك غير مهتم بشيء غير هذه المواد الكيميائية وأغلبكم كذلك.لا يوجد غير إسلام هو المحبوب فيكم في القرية

فقال مجدي:كيف عرفت ومن أطلق ذلك علينا؟

فقال أبيه:إنه هذا الولد إبراهيم الذي كان يجلس معكم منذ زمن ،خذ حذرك ابني وكف عن السباب قليلا والسخرية من مقدساتهم

فقال مجدي :حاضر أبي.

وقام إلى غرفته يفكر ،عيناه كانت تذهب في كل مكان،إنه قلق على غير العادة ولكن ليس كثيرا.عيناه تتحرك في كل مكان وأراد تدخين الحشيش.

والحديث يدور في رأسه،إنه قلق من هؤلاء الجهلة السفلة ،إن اجتمعوا سيتعبونهم جدا وممكن يقتلوهم فعلا فجهلهم يحميهم من أي فهم ومن أى تأنيب ضمير ومن أي إنسانية ممكنة وتسامح ،إن ما حدثوا به أحمد عليهم أن يفعلوه الآن ،ربما الحل هو إسلام ،فهو الوحيد فيهم الذي يستطيع التعامل معهم.أحمد عنيد ومازن غير مكترث وشمس أقاربه يكرهوه وينتظرون أي شيء لكي يتخلصوا منه.

أما أنا فقد كان لدي لدي نوستاليجا هذه الأيام للأزهار التي كنت أرعاها واليمام الذي كنت أعد له عشه كلما وقع وللإنسان البدائي في الطفولة المبكرة الذي كنت عليه وهذه النوستاليجا ترهقني جدا وتجعلني مضطربا ومرهفا لدرجة عالية رغم رفضي عقليا استحضار الطفل الذي يحيا بي دوما ومذاق حياته الجميلة ومقارنة ذلك بحياتي الحالية.أتذكر أمي وهي تخبرني "لقد كنت صغيرا من ساعات ولم تكن في رأسك هذه الأفكار الشيطانية،كنت تنام مع توأمك وأنا في المنتصف وتتشاجروا على من ينام بجوار الحائط" وكنت أقول في سري

"لم أكن أظن يا أمي أن بكبري سيحدث كل هذا في حياتي،لم أكن العالم قاس والفكر يشرذِم الهوية والجمالية،لم أكن أعرف!"

الانتحار

تصاعد الموقف في القرية وبدأت أناس أكثر تتحدث ووكلوا بعض كبار القرية للتحقق من الأمرفمن هو متمرد على الدين سيتمرد بالفطرة على الظلم الاجتماعي والنرجسية الهائلة لكبار العائلات ومساوئهم.لقد كانوا يخافون من ذلك رغم أننا لم نتعرض لهم بأي شيء.

عاد أحمد للبيت ينتظر يد أبيه تضربه ضربا قاسيا لم فعله معه أمام الشيخ والضرب الذي لحق به فبمجرد أن دخل حتى انهال عليه أبيه بالضرب وهو يقول:تضحك عليّ أنا يا كافر،والله سأذلك أنت وأصدقائك إما أن ترجعوا وإما أن يقتلكم الناس،قتلكم حلال

لم يقوى أحمد على الصمت هذه المرة،لم يستطع أن يصمت وقال له :لن أتراجع عن أفكاري مهما فعلت ،طالما أنا حي ،أنتم كذبة ،هل تظن أن إلهك سيرتاح بموتي ،إنه لا يكترث بك أو بي

فضربه أكثر أبيه وهو يقول:اخرس يا كافر،أنت ابن عاق ،كريه ،مجنون وفاسق

فقال أحمد:أنا لست مجنون،ولست فاسق،أنتم تشيطنون كل من يخالفكم لترتاحوا من فهمه ،أنا ما تكبته يا شيخ

شوه له أبوه وجهه تماما من الضرب وقال له:سأقوم بعمل خطبة الجمعة عليكم ولتحضروا جميعا يا كفار في قعدة بعدها،إن اعترفتم بكفركم ستقتلوا

كان اليوم الجمعة وكان يستعد لغسل يده ،سيذهب للمسجد الآن بريئا طاهرا ليشهر بهم أمام جميع القرية ويخلص نفسه من نزع كونه شيخ القرية فلن يقبل أحدا أن يكون ابن شيخ القرية كافرا ويظل على عرش المشيخة.

كان مضطربا جدا وعصبيا ،دخل المسجد والجميع ينظر له وينتظرون ما سيقوله في حق ابنه وأصدقائه حتى بدأ : لقد وجد في هذه القرية بعض الملاعين الكفار ومنهم ابني ويجب أن نتخذ موقفا يرضي الله ورسوله وهذا الموقف يتحدد بعد الاستماع إليهم.

صوته كان عاليا في الميكروفون ،صوت جهوري ،كان جميعهم يسمع ما يقوله الشيخ بتمعن ،إن الأمر أصبح جللا وتم شهرته ويجب أن يتخذوا مواقف عملية لذلك.

هرب أحمد بعد الضرب إلى ملاذه الوحيد الشجرة ،ينوي إنهاء حياته،المكان كان فارغا تماما،بحث عن حبل في كل مكان بجوار الشجرة ووجد أخيرا ،علقه وترك مذكراته على الأرض بجوار الشجرة ولم ينظر حتى لشيء ليودعه ولم ينتبه إلى أن هذه آخر لحظة في حياته على الأرض،صعد الشجرة ولف الحبل على عنقه وتدلى حتى انتهى.

كنت أمشي إلى الشجرة وكان قلبي ينبض نبضا غريبا،كأن في حِجره وحشا يمزقه أو يأكله ،أستمع إلى الشيخ السفيه وهو يُعلي من صوته ويقول "إما ان يرجعوا أو نقتلهم" حتى وصلت إلى مرأى يسمح لي برؤية الشجرة ووجدت أحدهم معلقا هناك فجريت بسرعة وقدماي أشعر أنها مكبلة كما كنت أشعر في الطفولة عندما جريت عندما سمعت بوفاة أبي وأمي،كنت أشك أنه أحمد ،كنت أشك وكان بالفعل هو،كان متدليا من غصن الشجرة الأخضرالقوي التي كانت تحمل لنا الدفء عيناه صاعدة إلى السماء ورأسه أحمر كأن الموت لازال حيا فيه وفي المكان.وقطط سوداء واقفه موجهه رأسها إليه تعوي عواءا عاليا جدا.لم أعرف ماذا أفعل ؟وقفت أنظر لوجهه ووجدت المذكرات فأخذتها وركبت أول عربة لي ورحلت.كنت خائفا جدا أن نندثر.لم يتحرك قلبي،لم ينخلع ويستشيط كهذه المرة ،لم أكن أقوى على التنفس وكان نفسي يقل شعرت أني أرفض العالم كله لأنه هو ما اودى به إلى هنا ولم أكن أعرف أين أذهب ولا لم رحلت؟

هل انا خبيث الان كوني تركتهم في هذه المحرقة التي ستحدث؟ فالموت ينتظرهم جميعا ولكني مشدوه بما حدث ، لا أصدق إلى الان ذلك ولا أصدق اني لن ارى احمد ثانية ولا انه انتحر وترك كل ذلك ورائه .اشعر برهبة كبيرة وخوف ،اني أُستلبت وأنه لا يوجد وميض في العالم أجمع للاستمرار في الحياة ،بفقر شديد في المعاني وغضب وغيظ.هل فاز هكذا هؤلاء الجهلة

السفلة ؟كانت هذه اول مرة أفكر في الانتحار أن أفتح باب السيارة وارمي نفسي في النهر .لقد جدفنا سوية ويجب ان ننتحر معا لكني رأيت شبح امي خلف النافذة وهي تواصل الهمس في الفراغ " ارحل إلى حيث لا يجدك أحدا " وللحظة لم أعي من انا ولا ماذا أفعل؟ أنه حلم اجهل نهايته .اجهل رحلته في رأسي. لم يفديه اي شيء لا دفئنا ولا كتابته ولا اي شيء .كتاباته كلها معي ساقراها جميعا ساقراها دوما لاتذكرك واعرف هذا الجحيم الذي كان يحيا به .هذا العالم المتفجر في رأسه سينام الان ويرتخي في العدم.

يداي ترتعش بشدة على الورق حتى وقف السائق ،اتصل بي مازن ففتحت وهممت بالحديث،لم يكن لساني يتحرك حاولت ولكن بلا فائدة،طمأنت ذاتي ربما أن هذا من الصدمة في تفكيري ووقع مني الهاتف ،جلست على شط النيل وفتحت الورق وبدأت أقرأ" . أنا وحيد منذ زمن طويل،بلا علاقات عاطفية ،بلا ترميم شعوري لكينونتي المتشظية،كل انفعالاتي تتلخص في تهاوي الخيالات المجادلة.قلبي الذي كان من بلور أزرق سماوي ،الذي كان يدفيء من حولي ،الآن أصبح رماد صامت.هاجرت بعيدا جدا في الوحدة حتى فقدت هويتي ككائن فيه مشتَرَك دلالي مع العالم ولو بسيط حتى.أفعل كل الأشياء وحيدا وتقل نسبة تدخل الآخر في عالمي قليلا قليلا،كنت أعرف أن الأمر سيصعب مع الوقت كوني لست بهذه القوة وهذه الاستقلالية النفسية دوما.لكني الآن أواجه تلك العورة الكبرى

المدغمة مع منتشيتي الكبرى اللغة.فالوحدة تقوي الارتباط باللغة ،بالهلامي ذلك اللاكائني،واللغة تقوى الارتباط بالمكان المخادِع الذي يسمى الوحدة.أجلس مع الأصدقاء أحيانا فيخبرونني بحكايات علاقاتهم ويسألون عن متى أدخل علاقى عاطفية؟ فيكون ردي دوما أني غير موجود لكي أدخل علاقة مع أحد ،عليّ أن أتحمل مسؤولية تلاشيّ ذلك وأني لا أقترب من أحد خوفا من جزعه من وحدتي العميقة تلك ولم يتحمل هو فك تلغيزي وتعقيدي وأنا لا اثق في قدرتي على الاستمرار ولن أشترك في علاقة لكي أوازن ذاتي ولا لكي أرضع من الآخر طمأنينتي النفسية،فدوما بتلقائية أحاول أن أجرد الوجد والجذب عن علل الانتفاع العاطفي أو التي لا تخص جماليته المفارقة التي أريد التوغل فيها.لقد خسرت الكثير من قدراتي الاجتماعية ولا يمكن أن أستردها لأنه يوجد علل قوية لعدم فعل ذلك ،وخسرت الكثير من الناس الذين أحبهم ويحبوني بسبب تلك الوحدة ،أحيانا أكون نادما وأحيانا لا.لم أجرب مشاعر اجتماعية أو عاطفية كثيرة في حياتي،لا أعرف ما هو شعور الانتماء ولا ما هو شعور التقديس مثلا ولا أعرف كيف أشعر بذلك ،لقد فات الأوان.ونقطة أخرى في العلاقات العاطفية هو رغبتي المستمرة في الانتحار والتي لا أستطيع السيطرة عليها بشكل كامل ،لا أريد أن أخذل أناس أكثر وذلك من أخلاق مكتَسبة من الوحدة ومن الزمن فيها"

في الورقة التالية "أشعر أني سأنتحر قريبا "

في الورقة التى بعدها "علامات استفهام تملأ الورقة "

في الورقة التي بعدها بعض الشعر "

كهفي تدمر أيها العالم

خفافيشي اليتيمة المتألمة من النور

والموت اخضر واخضر.

كل شيء يتفكك إلى عبث وألم

حتى الذات المطلقة خلف الخمار

حتى الذات في المرآة التي تعاركني دوما."

في الورقة التي يليها عنوان طويل بالموت "

يبلل الموت روح الشاعر بريقه الخبيث

يحاجج ناره الجوانية

ويثأر من هزائمه السابقة أمامه طيلة قصائده.

فيا أيتها القوة الإعجازية الكبرى للعالم

المعذِبة لفريستكِ وجوارها

تعالي افتلي ظلمتك الغنية حول عنقي

أنا ابن الخراب

لا أهل لي هنا على الأرض."

في الورقة التي تليها شطحة صوفية"

افني خمارك الغريب عن وجدنا

سأغيب فيك حتى نوجد كلينا

فإن تعبت فقوّم قلبي على الغيبة

وإن فنيت فلا توجدني ثانية"

لم يكن يعرف أي منا أنه يكتب ومهتم بهذا الشره بالكتابة.لم يقل لنا أو يتحدث في الأمر بتاتا حتى عندما كان يطلق مجدي أو مازن بعض الشعر أو النثر العامي لم يكن يرد أو يكمِل.لم يا صديقي تركتنا خائفين ورحلت إلى غياهب بيضاء أو سوداء؟ أنت لا تستحق كل هذا الألم،أنت لا تستحق كل هذه الوحدة!

كنت أقرب شخص له فيهم ولم يكن يحكي لي أي شيء من هذا ولا يريني أي شيء أبدا.بكيت بحرقة وشعرت بقلة الموصوف والترجمة لما بداخلي بكيت بشدة لم أبكيها على أمي أو أبي وتابعت القراءة وأنا أبكي،كان العالم عندها فارغا من كل شيء كخرابة أصيلة عتيقة لا يمكن أن يعمرِها أي إله،شعرت بتفاهة كل شيء حولي وبضآلتي الشديدة في هذا العبث الذي يربط كل شيء بصمغ الألم وبعدم جدوى الشكوى للهواء الرطب الخانق حتى.

في الورقة التالية وجدت قصيدة

"

مؤسسا العالم على فراغ خرب

مشبوه بالعبثية والتسكع الطائش في العدم

ومؤسس انا على اللغز والمخدر والابحار.

عفتي هي عدم مخالفة دين قلبي

وكينونتي تتغذي في بقائها على رجسي.

لا افقه سوى التحدث عن ذاتي

فهي من اعرف خرابها بالكامل

اكتب اثاث المتاهة ولا اضع انذارات ولا مفاتيح

لمن سياتي بعدي ويشتري له التكوين صدفة،حياتي.

اسمع عواءا عاليا يذكرني بصوت ابي واحاديثي مع الجدر

في ليلة باردا كل ما فيها في وحدته.

ابي المدغَم فيه الاله الشرعي للجهلة

يعجِل بانتحاري بمحو صوفيتي السرية."

وجدت ورقة عليها دماء حيوية يبدو أنه كتبها اليوم

"وداعا أصدقائي الحزانى المجدفين

وداعا شمس الذي وجدت في جواره قلبا أحن عليّ من أبي

وداعا إسلام بلاأدريته

وداعا مجدي بخيالاته العلمية

وداعا مازن بلغته العربية الأقرب إلى قلبي في العالم

وداعا للشفق والفجر

لعوالمي الخيالية الكثيرة

للغرائز الغريبة للجنون"

استمريت في القراءة صفحة تلو الأخرى حتى وجدت صفحات مقطوعة ولم أفكر فيما سأفعل بعد ذلك.طلع النهار وأنا أركز في النيل لساعات أفكر وكان كل تفكيري في الانتحار فلم أعد أستطيع العودة إلى القرية وإن لم أعد ماذا سأفعل في هذا العالم الواسع؟قررت في النهاية أني لن أعود وسأركب إلى محافظة أخرى وأبتعد قدر الإمكان عن كل من يعرف القرية ،إلى مكان لا يعرفني فيه أي أحد فالغربة حقي الوحيد في العالم.اخترت الاسكندرية كان معي مال كافي ،ممكن لمدة أسبوع.لدي ظمأ كبير للخمر وأريد أن أذهب لأي بار هناك.كنت حزينا جدا ولا اعرف هل بدا علي ذلك لهذه الدرجة إم لا ؟ اقتربت فتاة مني ونظرت لي مباشرة في عيني لثواني وانا لم اتحدث ولم أقل

شيئا ، كنت اظن انها موجود بقربي ولكن ليس بهذا القرب الكبير من السكر وقالت مباشرة " انت مغوي للرقص والصريخ" فابتسمت وضاقت عيني اليسرى كالعادة وابعدت نظري عنها ، كنت اظن ان ذلك من خيالي وأن كل ذلك لم يحدث واقعيا لكنها لمستني من الخلف فنظرت مصعوقا أنها موجودة ونظرت في عيونها بدون خوف وبدون اي تردد او قلق وقلت لها بالفصحى لأني عندما اسكر اتحدث بالفصحى عادة مع الله لا مع احد " الغاوي. . عالمه مخيف" فابتسمت " تعال لنرقص" لم أكن أعرف ماذا أفعل ، ذهبت معها ولا اعرف كيف رقصت ، حتى هممت بالخروج لأني شعرت بأني في سجن وبدأت الخيالات تكثر ، اقتربت مني جدا ولكني لم اقبلها بل اخذت شهيقا بالقرب من فمها لاشم كونها كله ورحلت اتخبط في الأشياء.هذه الليلة ابتعدت إلى حيث لا أعرف ونمت على الرصيف ولم أدري بعدها ماذا حدث؟حلمت بفظائع عني وعن مازن وعن إسلام وعن مجدي وعن أحمد.حلمت أنه صُلِب على السماء وأنه مغروس فيها إلى الآن. أنا سكران الآن ،لا أعلم لم سكرت؟ وماذا أرى من عوالم؟لكنه محيط قادم وأنا أدخن سيجارتي على سريري،أشربه وأبقى في فراغ مع الصَدف.يبدو أني فقدت ذاكرتي لأني نسيت أين وضعت علبة سجائري،في هذه الفوضى التي تشبه أمعاء إنسان.استيقظت في غرفة وحيدا مقيدا،لا أعرف أين أنا ولا ماذا أفعل هنا ولا ما هوية هذا المكان ،كنت أدخل في غياهب وأخرج من غياهب

باستمرار ،كان كل مكبوتي يظهر في الكوابيس تلك وكنت متعبا بشكل لم يسبق أن كنت عليه،أحيانا كنت أحس بثعابين تمشي في جسدي،كانت جلسات الكهرباء ربما. أستفيق بعد مدة ولكني في النهاية تعرفت إلى أنه مصح نفسي.لا أعلم ماذا فعلت لكي أدخل هنا ولا كم مكثت من الوقت هناك سوى بعد وقت طويل،كان يشبه يوما طويلا فقط لكنه كان ثلاث سنوات حتى بدأ أستعيد عافيتي،كان جسدي هزيلا ونقصت عدد كبير من الكيلوات ويداي وقدماي كانوا جميعهم مفخخين من جراء الإبر.

كان العالم غيمي وكانت كأنها سينما صامتة وصمتها مريع أحيانا وأحيانا لطيف.كان أحمد يقرأ في حلمي قصائده وكان هذا هو الصوت الوحيد الذي سمعته،كأنه في مذبح يقول

"أُطمر في رأسي نسبوية مطلقة

كل شيء ممكن أن يكون كل شيء

الصفر يترقى لمطلق والمطلق ينحط لصفر .

بدأت عالمي بهذه الوحشية التي تأكلني أولا

تُضعف نبض الإرادة قليلا قليلا

وتجوعني للبياض.

أعترف بجشعي لتدمير الملأ

والتحويم عاليا لرؤية خرابه كنسر واحد في العالم.

أي نشوة لها جاذبية في ماوراء رؤاي

غير التجريب المطلق لكليّ في الشعر

والتلذذ بالأشياء كالتلذذ بالجريمة.

أحببت إمرأة وكان وجدها كلذة انتحاري.

كرهت العالم وكانت كراهته نازع لشري على المعنى.

تطايرت مثل الهباب على أطراف الحدود القاتمة الكثيفة التي تتدفق إلى مالانهاية

لتخرج منيّ القوارض البشعة وتقرضها.

وفي النهاية شاخ نفَس فضائي الباطني."

استيقظت وبدأ الطبيب يحاكيني:من أنت؟ ما اسمك؟

كنت أنظر له باستغراب شديد ولم أكن أتذكر الأمور بسرعة أو بشكل كامل.

قلت له : اسمي شمس وأنا لست من هنا

فقال:قل لنا عنوان أهلك،لنطلبهم يأتوا ليأخذوك

فقلت :لا اهل لي،ليس لي أي أحد في هذا العالم

فقال:يبدو انك لازلت متعبا،لا تتذكر لم أتيت إلى هنا ؟

فقلت له :لا ،لا اتذكر سوى دم كثير فاض منيّ وصعقات الكهرباء

فقال:لا يهم الآن ،قليلا قليلا ستتعافى ونرى الأمر، لا تقلق

وغابت عيني ثانية على الحائط المرسوم عليه رسوم من مرضى سابقين ،كأنها رسوم بدائية من الكهوف الأولى.بدأت أستيقظ اكثر في كل مرة لمدة أطول حتى تعافيت تدريجيا وقال لي الطبيب أن لديه غرفة في بيته ممكن أن اخذها وسيجد لي عملا.سألته عن الورق الذي كان معي

فقال :لازال محفوظا اخذته للبيت عندي واعذرني أني قرأته لأني كنت أريد أن اعرف حالتك ولكني أيضا لم أعرف.

خرجت من المصح ،كان اختناقا رهيبا واستلابا من الغيبة ولكني بدأت أتحدث بعد هذه السنوات من الصمت ،لم أفرح بذلك كثيرا وكنت أفضل الصمت رغم قدرتي التي عادت عليه.ذهبت مع الطبيب لبيته.كانت غرفة قديمة ولكنها مناسبة لضمي وحويي،فلم أكن اريد شيئا غير ذلك ولكني لا اشعر أني طبيعيا أبدا،كانت هناك خيالات كثيرة وكانت يداي ترتعش وجسدي ولم أكن أعي أو أركز في اي شيء.هربت بعدها إلى الشوارع بعد ان سرقت مذكرات أحمد التي بعثتها إلى دار نشر وعنونتها "مذكرات منتحر" والكاتب "مجهول". أمشي مجنونا مع المجانين الكثر الموجودين أحيانا عاريا وأحيانا لا ،لم أكن أكل إلا نادرا وكنت أهرب باستمرار من عربات الإسعاف التي

تأخذ إلى المصح ،كان البحر هو الملاذ وفكرت كثيرا في الهرب إلي جوفه والانتحار ،كانت هذه هي الفكرة اليومية الرئيسية لدي ،أول ما استيقظ وقبل أن أنام.لم اكن اعطي بالا للعالم ولا للزمن ولا لأي شيء ،لقد كنت حرا من كل شيء إلا داخلي السوداوي ذلك.

الجنون

لا أحد يعرف هل هم مجانين أم أنهم أكثر إنسانية من جميع الناس في القرية وأكثر رهافة.!

الشارع فارغ من الجميع فى الثالثة فجرا والأزرق الباهت يسيطر على المرئي.كان ينام في وسط الشارع يتأمل في السماء والنجوم المغروسة بطيش المتلفِعة بالبعيد الواسع ،ينفث سيجارته التى استعارها من عابر لا يعرفه.ويقول لنفسه أو للسماء أو للكون " لم أنا مجنون ؟ الصوت يُكسِر أذني ويضع يده عليهما ويد تشنقني _يضع يده على رقبته_ لم أطير وأرجع أقع ؟ لم أطوف معها في سحر الملكوت ؟_يهز رأسه كأنه يطوف.

شيخ الجامع الجديد وهو رجل في آخر العشيرينيات يبدو عليه الثبات.يفرك عينيه ويمسك مسبحة ويردد الأذكار أتى من بعيد رآه وهو نائم وقال له " يا مجنون ماذا تفعل في الليل ؟"

فقال له " أزور الدنيا التي في رأسي "

فقال " كيف ؟ ادخل نام"

فيقول له " الليل في آخر ثقيل"

في الصباح خرجت خرجت لا أعرف أين أذهب .وقفت عربة لي بدون أن ألوح لها .ركبت وأنا يبدو عليّ اللامبالاة الشديدة فلاحظ السائق ذلك وقال :إلى أين ؟ نظرت للنافذة وقلت له : آخر محطة لك.الغريب له وحي مهما كان.الغريب عن المرأي وعن الشكل وعن اللغة وعن الحركات والسائد في التفاعل والمتوحد في ذاته والجمل الشعرية.

أنا عائد بعد عشر سنوات لقريتي وفي هذه العشر سنوات لم أذهب للقرية مطلقا والجميع يعتقد أنى مت.لا أعرف كيف واتتني القوة لعدم العودة لمدة عشر سنوات قضيتها في المصحات والزنازين رغم أنه سُمح لى بالخروج منها كثيرا.كان لدي أعراض جنون ولازالت ولكنى أحاول السيطرة على ذاتي بقدر الإمكان.أخذت جلسات كهربائية كثيرا وأدوية شتى.ومشيت في أغلب الشوارع فى المدن الكبرى تائها وهاويا تيهي.

عدت لأرى أصدقائي في مجتمع الحشاشين.بعدما وقفت السيارة مشيت في القرية حتى وجدت سيارة فخمة تقف عند كوبري القرية ،رآني ،يبدو أني أعرفه ،إنه إسلام يا إلهي.حضنى بقوة وقال لي :اركب،أين كنت كل هذه السنوات

فقلت له :لا أعلم ،أين مازن ومجدي؟كيف حالك وحالهم؟

فصمت وشرد فتبينت في وجهه الألم وقال لي: تقصد طفشة وقدس

فقلت:أي طفشة وقدس؟!

فقال:مجدى اسمه الآن طفشة ومازن اسمه قدس ،لقد جنوا بعد انتحار أحمد

قلت له:أي هراء هذا؟

فقال:هذا ما حدث يا شمس،أنا فقط أخبرك الحقيقة المرة،أنا أحميهم الآن من الناس وأعطى لهم الطعام والشراب.

مجدي أو طفشة الآن، شخصا غريبا. له أثر كبير على الكثير من الناس، أثر جميل وعذب وصافي وساخر .وجوده أساسيا في القرية ولا تخلو أي قرية من مجنون يعرف أغلب ساكني القرية وخصوصا الأطفال، هو نوع من اللمعة الشعرية رغم أنه مجنونا .وقد عرفته أنت كذلك حتى قبل رحيلك .لم يكن ككل المجانين مؤذي ومخيف بالنسبة للناس وايضا بالشكل المعروف والمتداول .مسالما ولكن ليس تجاه الجميع فقد كانت تخرج من أشياء مثل تحرشات بنساء، هلوسات متكررة ، نظم لغوي يتم التكلم به طوال الوقت مثل ان يقابل كل الناس في الشارع ويقول لهم " أنت عقلك تعب" الناس كان تستعمله في الضحك وفى هذا اليوم الذي هلوس فيه كثيرا " أنت عقلك تعب" قال له أحدهم ان يمشي في القرية يقول ان أحدا ما عقله تعب فقال له

قل له " محمد عقله تعب" فقال له "ربنا يشفيه" فضحك الجميع .لم يكن يضحك ، ولا مرة بعد انتحار أحمد ضحك .بعض النساء كانت تأخذه وتحممه وتجعله ينام معها وكان هو من الناس التى تعد رغم عدم معيارية الأشياء التى يفعلها مؤدبا. يدرك كل الناس وأنواع طبائعهم ويعاملهم على قدر وشكل احترامهم . يعرف الكثير من القصص عن القرية ، يحمل تاريخها كله ويناول من تاريخها للغرباء والعابرين دوما .طلب مني سيجارة ولم يتبين من أنا ؟ وطلب باحترام بالغ .أصابعه مليئة بخواتم قديمة وملابسه جاكت بدلة وبنطلون نظيف دوما.

مضطربا جدا الان ولكن وجود أمه ومعرفته أنها موجودة وعائشة في البيت كان يطمئنه ويحميه من الناس ووجود إسلام أيضا.جالسا على مصطبة في الشارع الأكبر في القرية فهذا مكانه المفضل بعد المشي طوال اليوم على الطريق المقابل لها بجوار النيل.أتى طبيب من بعيد فلمحه سريعا واختبىء وراء الجدار وعيناه تحولت لعيون وحشية من كثرة الخوف إلى أن عبر الطبيب وقال له : لا تخاف لن آخذك للمصح. عاد لهدوئه بعد قليل وعاد لمزاجه الرائق بالمزح مع كل من يعبر وأحيانا بالصمت الكامل وشروده في شيء.هذه المرة سيأخذوه للمصح إن فعل شيئا.يتخيل نفسه دوما بهذا الزي الأبيض في مصح فقد ذهب مرة واحدة في حياته وهرب منها ومن وقتها وهو يخاف جدا الذهاب إثر جلسات الكهرباء.يتوتر جدا من صوت

الإسعاف أو اي صوت عالي ولذلك لا يخرج من القرية أبدا ولا من إطارها

وبدأت أتحدث معه، أخرجت سيجارة وهو يأخذها قلت له : لا تعرفني ؟

لا أتذكر:

أنا مجنون العالم الأكبر .. مجتمع الحشاشين:

انتبه جدا وقال : أين أيامه ولياليه؟ من أنت إذا؟ شمس

نظر في وجهي بشدة ودمعت عيناه وقال : إنك شمس.إنك شمس.

حضنني وصاح :شمس أتى أيها الناس..شمس أتى ! وقلت له في أذنيه : متى تعقدوا مجتمع الحشاشين؟

ترك حضني وابتعد وقال: ابتعد عنه.لم نعد نعقده.ناديته ولكنه لم يُجبني وأخذ يصيح بسعار شديد " عد من حيث أتيت أو لا تسأل عنه ثانية "وأخذ يكررها كثيرا حتى أخذته الظلمة وأخفته في جيبها.

الصديق الثاني أوالمجنون الثاني الذي يجب أن أبحث عنه هو مازن أو قدس وهو شخص يتحدث فصحى فى القرية لكنها أصبحت لغته الرسمية الدائمة ولكنه لا يخاف من التنقل بين

الأمكنة . يجب أن أعود للمدينة للبحث عنه.أصبح يتحدث فصحى دوما ويحرك يديه و هناك قصص كثيرة حوله.ولأنه يتحدث فصحى كنا أحيانا نقف أمام بعضنا بمسرحية نتحدث شعرا.لقد تركه أهله جميعا من عارهم منه وتركوا القرية .لم يكن يفصح حتى عن أي شيء من حياته السابقة. المغرب قد أسفر بظلماه البسيطة ووجدت شخصا أمامي ينظر لي باستغراب هيئته الدفينة كمازن أو قدس ،اقترب مني وقال لي: تعال نبتعد عن الناس هنا ،لا أقدر على احتمال هؤلاء،لنذهب للمدافن ومشيت معه ولم ألفظ بأي كلمه ولكني كنت أراقبه والناس تنظر لنا باستغراب ويقولوا له:قدس قل لنا قصيدة.لكنه لم يكن ينظر له ،كانت ملامحه ساكنة جدا. قابلت ذبابة هذا الحقير الملعون الآخر ولم يتبيني في البداية حتى عرفني وقلت له "ذبابة"

فقال :ترقيت الآن من ذبابة إلى "الثعلب" وأعمل غفير ،في الحكومة ،لم تمشي مع هذا المجنون ،إنه بلا قيمة؟

ذهلت من قوله وتعجبت من عدم فعل قدس أي شيء وعدم الرد حتى .تركته ومشينا حتى وصلنا و تنفست الصعداء للأسئلة الكثيرة التي يجب أن أجاوب عليها كوني عدت بلا مال بلا عقل بلا أي شيء،كوني خنتهم ورحلت.لا أعرف ماذا حدث لهم؟ ومن بقى حيا ومن مات؟ تركت بصري للمدى وشردت

في الأعوام التى مرت عليّ وما مرت عليّ ورغم ذلك كنت اشتهي الغياب والغيبة ثانية.

وتذكرت بيتي الذي كان في منتصف القرية أمام حارة كبيرة تسمي حارة الستات لأن جدتي واصدقائها كانوا يجلسون فيها ويتشاركون كل شيء يطبخون معا وياكلون معا ويربون الدواجن الخ من الأعمال القروية، مكون من ثلاثة طوابق الطابق الأسفل لجدتي وجدي ووراء البيت دوار كبير كان جدي يربي فيه الجاموس والبقر.أبي هو الابن الوحيد لجدي مع بنتين.جدي كان من عائلة شديدة الأصولية والمحافظة والتعنت والصلف وجدتي كانت من عائلة ذات نفوذ كبير ولهم باع اجتماعي.كنت أقرب إليهم من أبي الذي كان شديد الصرامة معي في الطفولة وهذا من أحد الأسباب الذي جعلتني أرحل من القرية مع انتحار أحمد أن هناك ذنوب في العرف الاجتماعي لا تُغتفر منها الجنون وأسمائه والجنس لو مارسته المرأة.البيت لم يتغير كثيرا فقط بعض الطلاء وطرأ عليه فقط بعض المحلات والدكاكين .

غبت للحظات في حياتي السابقة عندما كانت التخييلات تُسيطر بالكامل عليّ.هذا اليوم الذي استيقظت فيه وسط الكتب والورق والأكل العفن وقارورات البلاستيك ونظرت في المرآة فسمعت شيخا يقل منها " أنت مجنون " تقهقرت وخرجت ولم اعد من يومها إلى سكن أي مكان مغلق بيت او شقة.بدّلت حياتي من

الحياة وسط الدمى والمرايا إلى الحياة في الشوارع.كانت هذه الغيبة دوما تأتي لي.أنا أيضا جننت مثلهم وكنت أسكن الشوارع وكانوا دوما يأخذوني للمصح أو السجن.أتاني خيال أن أمي لمحتني ولا أعرف هل لمحتني أم شمتني فقد كانت تفعل ذلك مرارا وتقول أنها تستطيع تمييز وجودي وحضوري من بين العالم أجمع.

اندلق زفافا في باطني برؤيتها رغم تجعد وجهها ومشيتها الصعبة.راودتني حينها مشاعر مختلطة كثيرة منها الخذلان الذي لم أقدم غيره لها والفرح بلقائها ثانية فلم أراها كطيف منذ فكرت في الانتحار في السيارة. الدفء الذي اعترى قلبي في تلهفها عليّ وتذكرت ما كنت به أنصح جميع من حولي " ليس مهما أبيك في شيء.إنه ذكوري مطلق بسُلطة رهيبة أما أمك فلا تخن قلبها أبدا "ومع ذلك خنته.

قالت بتنهد شديد وبكاء:أين كنت يا حبيبي؟ لقد بكيتك كيعقوب عندما بكى يوسف.أين كنت؟ ليس مهما تعال ارتاح في حضني وندخل البيت.سيفرح الجميع بقدومك،اشتقت لك جدا يا ابني

كانت أمي بها نفس صوفي رغم أنها امرأة بسيطة جدا لكنها كانت تقدر الغرباء في العالم.كانت تحاول أن تفهمهم على الأقل.حنونة على جميع من يسأل عونها ومن لا يسأل وتظهر حاجته.أما أبي فكان رجل ذكوري يمارس سُلطته على كل من يقدر أن يمارسها عليه بلا رادع أخلاقي نهائيا رغم أني لم

أصنفه أبدا ولكنى كنت احاول فهم كل شيء حولي حتى الجلادين وكان هذا جزءا كبيرا من ألمي.عقلي كان جاهزا للعالم ومواجهته لكن قلبي لا.بهتت اللوحات جميعها ولم اكن اتوقع أن يثار قلبي وأدمع بلقاء أمي.لم أقاوم دموعي ومشيت معها وكنت أعرف أن ربما في مشيي سجنا قادما.حاولت بشتى الطرق أن أكون منضبطا حسيا ووعيبا وأن لا أفعل أي شيء يثير حفيظتهم خصوصا أبي الذي لم أراه إلى الآن كطيف مطلقا منذ وفاته ولكن غيبة أمى وحضورها طغت على السجن القادم.دخلت خائفا قليلا من هيبة اللقاء بعد الايمان بالوداع المطلق معهم.لقاني أبي بوجه عبوس ولم يحضنني حتى وكنت أستغرب لأني كنت أقتله كل فترة في أحلامي وأهشم رأسه بالكامل وأهرب وينتهى الحلم.لم أكن خائفا منه وضارعته في النظرة لي ولم أخفي بالنظرة الشرية الشديدة له فشدت أمي على يديّ وأدخلتنى غرفتي القديمة.

كنت هكذا دوما أحيا الخيالات وأتحرك معهم وأحدثهم ،نظر لي قدس وقال لي :أين أنت؟

نظرت له مشدوها :أنا هنا ،هنا ،فقط في رأسي

فقال:أنت أيضا لعنت بالتخييل ،أنا أيضا وطفشة ..نحن أمام قبر أحمد ،عندما رحلت وكلمتك هاتفيا ولم ترد رفضوا إقامة جنازة كونه سيخلد في النار ههه

فقلت:حركت لساني يومها ولم يخرج صوتا ،ظللت هكذا لا أتكلم أكثر من خمس سنوات في المصحات والسجون.كنت أزعق في الجدران حولي.لا أقدر على كبت هذه الذبذبات الشديدة في باطني.لا أعرف من يقطنني ومن يمكنني مني ؟ قال لي في بداية الأمر عارفا ستصير مجنونا به أو مجنونا بتيه ولكنى إلى الان لا أعرفه.ووجدي ووجودي ليس صوفيا.لازلت لا أئتمن للقياه ولا لعدم السؤال عن وجوده وتصديق ذلك.أنا شديد الكفر بالافكار والمشاعر.شديد الكفر بالهويات الجاهزة وما بها من مساحات.لا أرتاح إلا في غرقي في المتاهات في نهاية تأملي ولكني لم أكن أعبر بأي وسيلة أدبية وربما ذلك ما كان يكثف الغرائبيات مني.لا أعرف متى ينقضي ذلك ، أشعر رغم جنوني اني لازلت مسجونا في هذا العالم الذي لا يوجد فيه اي شيء يدهشني او اي شيء يغويني او اي شيء يحمل جمالية مطلقة لا تنقض وتنقص.

فقال قدس : يكره الإنسان العادي المتأولين الذي لا يمكن تشكيلهم في قوالب لأنهم يهددوا المعيارية الثابتة في الرؤية.يكره الشساعات النفسية التى تتقبل العتمة وتحاول فهمها ولو كانت حتى مطلقة وإجرامية.يكرههم لأنهم يسلكوه ويسلكوا مكبوته ومسكوته وربما يغتاظ ويتشوش من القدرة على ذلك.يكره رؤية المهدّمين لأنهم يشعروه لاوعيبا بأنه ممكن يصير إلى ذلك،هذا الاحتمال غير الواضح.

فقلت :لدي شعور بالغربة قدس والهِجرة من الجميع فوحدتي ليست لأن لا يوجد من حولي بل لأنه لا يوجد من يشبهني ولكن الذي كون لاتشابهي ذلك هو الوحدة في أطوارها الأولى وتقديس المعاني على الأشخاص ،تقديس العمل التخييلي على العمل الواقعي حتى الغوص في عفن الجوهر الفارغ من العزاء والخلاص .ربما لأني لم أقتصد في استخدام تلك المخيلة النبوية وربما لأني ذهبت بلا خوف لكل الدروب فيها حتى المظلمة منها.

فقال : لا لذة تضاهي لذة الغياب الكامل عن العالم والتعامل معه كلعبة.كأن كل شيء فيه لعبة ولا يتم الاتكاء على أى ثابت مهما كان.

صمتنا قليلا وبعد ذلك انفجر في البوح

"بعد أن انتحر أحمد جاء أبيه وقيدني على السرير ولم أكن أستطيع التخلص من هذه القيود،قيدني وأنا لم أقاوم حتى ذلك، فقد دخل خلسة وظن أنى نائما ولكنى لم أُشعِره بيقظتي تاركا لهذا الجلاد فرصة لكى يعتذر عن انتحار أحمد أو يظهر عليه تأنيب أو يغير طريقته معنا ،أنت تعلم أن عائلتي صغيرة ودخيلة على القرية..قيدني وأنا أشعر بالقيود تهدر في كليّ وتختم على وجودي هذا الألم الرهيب .

حبست دموعا في حدقتي أفرغتهما عندما خرج وشعرت بكابوسية مطلقة ليس مما فعل بل من أملى بأنه كان سيفعل شيئا آخر.لم أنم هذه الليلة وأتت أم أحمد في الفجر لتطمئن عليّ.دخلت ولكنى لم أحاول غشها بنومي بل فتحت عينيّ،عندما رأت قيودي هرولت لفكي بدون أن أقول أي شيء.جلست واجمة محزونة مما يفعله هذا الرجل العنيف وقلت لها:يجب أن أرحل ،أو أتيه

فقالت: إلى أين؟

قلت : لا أعرف إلى الآن،كل الأماكن التى ذهبت لها كنت فيها غريبا ومهجورا فلن يفرق الأمر كثيرا

حضنتها بقوة وتركت حضنها قبل أن تتركني هي وكانت دلالات الاستكراه كلها في قلبي من العالم.خرجت من الشباك وأنا أريد نشوة عالية ولم تتحقق فيّ هذه النشوة العالية من قبل إلا في مجتمع الحشاشين".

لم أكن أعرف ماذا أقول لكنه أردف

" عادة يكون المجانين مستيقظين في الفجر،عادة يستيقظوا ليروا الانسحار اللوني،فهذا يطمئنهم قليلا ولكن طمأنينة بلا تطرف وخنوع".

جاء طفشة يمسك جلبابه ويرفع طرفه في فمه وعينه كأنها مليئة بدمع أحمر وقدس جالس على الأرض يسند ظهره للحائط

،جسده محموم رغم عريه شبه الكامل وينظر لي بحميمية وأحيانا باستغراب.مشيت لطفشة ومشينا لقدس،قدس قام عندما اقتربنا منه وقال :أعرف مكانا لا يذهب له أحدا،أعرف خرابة.

مشينا خلفه أنا وطفشة صامتين تماما وأنا أفكربماذا أرضعهم الزمن؟

وصلنا لمكان مهجور يسمى "جبر" به أماكن مهدمة كثيرة لكنه اختار مكانا منهم ودخلنا.المكان كان يخص مالك لكل الأراضي المحيطة،أرستقراطي عتيق،ترك كل شيء ولا أحد يعرف أين ذهب فقد ترك كل أملاكه بدون أن يبيعها حتى،نهبت الناس كل شيء وبقى الخواء إلا بيانو لم يأت في رأس الفلاحين بماذا يستخدموه وبنوا أساطير عن المكان حتى لم يعد أى أحد يذهب له والأساطير كل ما يتبقى للباقي بعد فناء الحدث.،تأويلات جريحة بالأنا وما ترغب فيه وما يشوشها.

دخلنا هذا البهو العاري،بهو الانعدام بدون خوف،الملىء بعناكب وشبكاته وفئران كثيرة.جلس طفشة على البيانو ووضع يديه وضرب بإصبعه وقال: تريد أن تعرف لم توقفنا عن مجتمع الحشاشين؟ونظر بقوة لي وقال بسرعة شديدة:تعرف هذا الذي وشى بنا ؟ تتذكر ،الذي قال عنا أننا كفار،لم ننسى ذلك إن لم تكن لم تنساه ،أعطيناه من إكسير وسم مجدي الذي كان يعده من أكثر من عشر سنوات .لقد كان صامتا وفي أحد جلسات النشوة قام رقص وحز رأسه في النهاية.صرخ طفشة بقوة

والصرخة اكمال لما ينخر في الباطن،لغة الحزانى الأولى وبعدها المجاز.

تفعلت حرفة الألوهة الأولى فيه،الموت.

لم يتحرك قدس من مكانه ولم يبدو عليه أي استغراب.أخرج الهيروين ووضعه على كتف البيانو وقال هيا،قام طفشة من على الأرض وشم كل ما ألقاه وألقى بعد ذلك ونظر لي فشممته كله ووضع لذاته وشمه بعنف.

ورمينا أنفسنا على الأرض مسلمين ذواتنا لها وقال قدس فجأة:لم ذهبت؟لم تركتنا؟

وقام أمامى فنظرت له فقال: اعبدني!

وصمت للحظات وقال:أريدك أن تخضع،بعد ان رحلت شعرنا كلنا بعدم الدفء وأنك خنتنا ،خنت رحلة العذاب القادمة. نبذتنا بما فينا أحمد ورحلت،هذه أول مرة أحكي ذلك ،أول مرة أحكي على الإطلاق لقد ظننا أنك بلا مشاعر وتعلم أننا غزيرين المشاعر.دفناه هنا في الغرفة في الأعلى بعد أن دفنوه أخرجناه ،إنهم لا يستحقوا حتى جثته،يجب أن نسجنك معه ،هو مسجون بقبر ضيق_بدأ كلماته تشتد_هل ستقاومني إن سجنتك؟إن مسكتك وسجنتك؟

قلت له: لم تريد سجني؟

:لكي تشعر شعورا كريها كما نشعر نحن،لكي تغرق في الألم كما غرقنا كل يوم،ليته كان سجنا من جدر ،ليت العود ممكن لا غامض كما العالم

: هل تظن أني لا أشعر وأني مستمتع بحياتي؟لقد أثر فيّ فراقكم كثيرا ولكني لم أكن أعرف أني سأؤثر فيكم بهذا الشكل

:لم ظننت ذلك؟هل تظن أننا نشعر مثل هؤلاء الناس؟

:لأني بلا أهمية عند الجميع،أرني قبره

:إنه في الطابق الأعلى

قمت ببطء ،كنت دائخا جدا.صعدت السلم المتهدم بصعوبة شديدة،كان القبر محاطا بصبار،لم يكن قبرا كان مهال عليه التراب بشكل كبير وحوله بعض الصبار ولففت حوله والنافذة القديمة العالية كانت موارَبة وقلت له بصوت عالي:

أفِق أيها الصامت،أنا قاتلك البرىء والمذنب

الصبار حولك يؤنسِك ويحميك

الآن كل شيء استوى لديك

الآن أنت صامت للأبد .

طلع طفشة وقدس إلى القبر وجلسوا على الأرض ووجوههم موجهه نحو القبر ،دموعهم في أعينهم طازجة وكل منا غرق في التخييلات.

بدأ طفشة بالحديث:سأحييه،لم نقبل الموت؟سأخترع كيمياء من كيميائي السابقة ونحييه،سأضيف بعض المواد لبعض المواد.تبا يا إلهي لا أتذكرأي شيء سوى صورته وهو يضحك

وقال قدس:كنت تحب اللغة العربية ولم تخبرني يا أحمد،كنت شاعرا

فقلت :نعم وجدت مذكراته بجوار الشجرة أين هي الآن؟

فقال طفشة:لقد قطعوها أمام أعيننا،قطعها أبوه السافل القذر الأحمق لأننا كنا نداوم الذهاب هناك وسميت شجرة الكفار

فقلت:هل لازال حيا هذا الخنزير؟

فقال قدس :ولكني سأقتله

فقلت له:اهدأ،ليس هكذا تدار الأمور

فضحك قدس وقال:لن نثبت عليه شيئا ،جريمته من بشاعتها لا تُثبَت ،من تشعبها وكثرة المدانين فيها

فقلت:مشكلتنا هي أننا بلا حميمية ،منعزلين في الرؤوس ،لا نُحوَى ولا نحوِي ،وهذا ما نفتقده،أن نكون مصدرا وأن نكون

مصبا.لنا علاقات شتى مع معاني شتى ولكن ليس لنا علائقية مع أحد

فقال طفشة:هذا العالم يُكرَه ولا يُحَب فيه شيئا ،هذا العالم يُهدَم ولا يٌبنَى ،وأول شيء تكرهه وتهدمه هو هويتك له ،إنك سمحت بالعطور الجميلة للتسلل لروحك وابتعدت عن اليأس القديم

فقلت:وماذا سنفعل باليأس؟أليس هو ما قاد أحمد للانتحار وقادنا للجنون ،ألسنا بالجنون نعاقب عقلنا الذي جدف ورحل بسببه أحمد

قال قدس بعصبية:وماذا نفعل يا إله التنمية البشرية؟ هذا عيشنا وهذا ما اخترناه ،لم أتيت؟

:لم أتي بكلي يا مازن،فقدت جزءا كبيرا منيّ،تجزأت وانتثرت ،أنت لا تعرف ماذا أشعر به وأنا لا أعرف ماذا تشعر به لكنه بالتأكيد ألم خالص.أشعر أننا نضعف مع الوقت أكثر باستمرار..نفسياتنا أعقد من أن تُروَى بشيء!

لم أستطع كبت دموعي في هذه اللحظات،متوترا جدا لا أعرف كأنى اغتصب مني كل شيء عنوة من جهل هؤلاء الناس،رغم أني أشعر بحرية في الجنون،فالمجانين رسل سماوية
دوما.صمتنا حتى جاء من الصمت والظلمة في الكون الذي دلقه فينا.وتكوم طفشة في جانب القبر وتكوم قدس في الجانب الآخر.

شاعت في القرية أني عدت وأن أحد الكفار القدامي عاد ولم الباقيين فعقدوا قعدة عرفية سرية لأن أهلى كانوا يريدون أخذ ما لي بحجة الجنون والكفر.كان إسلام هو الذي يدافع عنيّ وأني لست مجنونا وكافرا وقد كان يذهب إلى المسجد ليصلي رغم أنه لا يؤمن بشيء ،لا أعلم هل كنت أعذره لأنه تخلى عن أفكاره أم لا.كانوا عنيفين معه جدا قدس وطفشة رغم أنه كان يحميهم من الناس ويرعى لهم أموالهم في انتظار أن يعودوا لرشدهم،ومع ذلك لم يكونوا يتطاولوا إلا عليه ،كان يعلم أنهم نقلوا الجثة وأنهم قتلوا ابراهيم الواشي وكان يصمت على ذلك وكان ذلك خطرا عليه كونه لازال فاعلا في المجتمع.

خرجت من البيت المهجور وعدت إلى القرية.هممت بالذهاب لبيتي ،لم يكن يقل خرابا عن ذلك البيت.وجدت إسلام يقف عنده ينتظرني وقال لي :لا تقلق سأجعل أحدا ينظفه ويرتبه،تعال عندي إلى أن يُرَتَب ،كنت أؤجر لك هذه المحلات في أسفل البيت،فتعال خذ حقك واجلس عندي

فقلت له شاكرا:تسلملي إسلام ،لا أعرف كيف أشكرك

فقال:على ماذا شمس؟أنت من أقرب الناس لي في حياتي حتى وإن فرقتنا السنوات

مشيت معه إلى بيته،كان بيتا فخما جدا لكني لم أعلق على ذلك وكان يعرف أني أو أننا لا نهتم بهذا الأمر.

قال:هذا الدور في الأسفل لطفشة وقدس إن أحبوا يأتوا يأتوا،أولادي يحبونهم جدا وهم أيضا بينما يكرهوني،رغم كل شيء أنا أحبهم وأقدرهم جدا وأشعر بقربهم وبالطمأنينة من وجودهم في العالم،المهم أريدك في شيء آخر هيا نصعد ونتحدث وحدنا

صعدنا خافتين مهزومين ،أنا في رأسي أجول وأتجول وهو كذلك،لا زهر في عيوننا ولا ألق.كنت أراقب نظراته وهو يتحدث ،كان متوترا جدا ،خائفا ،حائرا ،آفلا.

قابلنا على السلم ابن له عمره يبدو أنه يقارب الخمس سنوات فقال لي :هذا أحمد ،تعال سلم على عمك شمس ،سميته على اسمه

وجالت الدمعة في عينه وحاول هو إخفائها فسلمت على الولد وقبلته وهممت بحمله لكنه أبى ودخل لشقتهم.

وقلت له:عندك أولاد آخرين ؟

فقال: نعم عندي مجدي وهيباتيا ،سميت على اسم مجدي وإن رزقت بآخر سأسمي مازن ،وهيباتيا تعلم أننا جميعا كنا نحبها ،زوجتي استغربت من الإسم لكني أصررت عليه

جلسنا وأتى بأكل ولكني لم أكن أريد أن أكل وسألته إن كان لديه خمور فكان عنده زجاجة ويسكي يخبئها ،بدأنا بالشرب وبدأ بالتكلم

قال خائفا :الآن أهلك أو ما يسمون أهلك يريدون أخذ كل ما لك بحجة كفرك وجنونك ويريدون إثبات ذلك عليك بأي طريقة ،الكافر لا يرث والمجنون كذلك ويحاولون ذلك بطريق شرعي ويحفرون ورائك أين كنت؟ قاموا بعمل جلسة عرفية سرية وأنا عرفت

فضحكت أنا جدا وقلت له : لازالوا يخططون لذلك،إنهم لا يتخلون عن الحقارة أبدا

قال:كنت أحمي بيتك بحجة توكيل قمت به إليّ وكنت أماطل في إظهار هذا التوكيل غير الموجود ،إنهم جادين شمس ويريدون سلبك كل شيء ،حافظ على كلامك وابتعد عن الدين والأفعال غير المنطقية

فقلت له:والحل ؟

فقال:أن تعود لحياتك الطبيعية وتكون فاعلا في المجتمع ولو بشكل صوري وتذهب للمسجد كل فترة

فقلت له:أنت تعلم أني لن أذهب ولكني سأحافظ على كلامي وأفعالي

وقال لي :جيد ،الأمر الأهم أن عائلة هذا الولد الواشي ،أخيه المتعلم يشكوا في أمر انتحاره لأنه كان مخمورا فقط ويريدون التأكد من الجثة وأنت تعلم ما سيجدوا وأنا قلق عليهم جدا

قلت له:وما العمل؟إنهم عنيفين أيضا معي

قال:يجب أن يرحلوا بأقصى سرعة وأنا سأوفر لهم المال

قلت:هل تظن أنهم سيوافقوا؟

قال:يجب أن يوافقوا ،الأمر جدي ويجب أن يفعلوه ،إنه يتعلق بحياتهم ،حدثهم لأنهم لا يطيقوا الحديث معي بتاتا

قلت له:سأحدثهم وأتمنى أن يستمعوا ويوافقوا ،لست مستعدا لخسارات أخرى

قام وأتى لي بمبلغ كبير وقال هذا حقك

فقلت له:ما هذا كله؟

قال:إنه حقك ،بات اليوم عندى إلى حين أن يجهزوا بيتك ،سأعود إلى زوجتي وأولادي الآن وإن احتجت أي شيء أنا موجود

مددت جسدي على الأريكة ونمت بسرعة شديدة،كان يوما عصيبا جدا ولم أكن أتوقعه بتاتا هكذا ،إن كل شيء تغير فعلا وتغير بشكل غريب لا يتوقعه أحدا ولا يمكن أن يتنبأ به أحدا ،ما حدث معي هو ما حدث مع مجدي ومازن لكن الفرق هو أنهم لم يتركوا القرية ولكن نفس المشاعر الشاعرية هي التي لعنتهم بالاضطراب والجنون.لم نكن شعراء كاتبين،كنا شعراء بلا كتابة وهذا ربما ما لعننا به القدر المجهول ،تعاشقنا كان

غريبا. العاشق يرتبط بمعشوقه لمجهوليهما و الحرية مرتبطة بالاخر لأنها تتجسد فيه. الذات تتحرر في الآخر لأنها تتعدى إليه وتكون فيه،وتكون فيه حرة بواسطة الحب مثلها مثل العشق الصوفي ولكن الفرق أن العشق الصوفي انفتاح على المطلق بينما العشق الإنساني انفتاح على مخلوق والقدر ملغز وهو حابك للعلاقة والوجد.فنحن لا نعرف ما سيحدث بأشد الطرق المنطقية فيسمح بذلك بوجود الشِعر أي الرؤيا.

استيقظت باكرا جدا ،أخذت المال ورحلت إليهم ،لم أكن أعرف أين هم؟ولكن ظننت أنهم لازالوا في القصر المهجور ذلك،مشيت إليه ،كان الثعلب يجول في القرية ،إنه غفيرها الآن ،أومأ لي وبدأ بالثرثرة:أين أنت ذاهب وما هذا الكيس الذي معك؟

فقلت له:لا شأن لك بذلك

فقال:أنت ذاهب إليهم،إنهم يختبئون كل ليلة ولا أحد يعرف أين يذهبوا،أشك أن المجانين يلوطوا مع بعضهم

لم أحتمل الكلمة حتى مسكت عنقه ورددته للحائط وقلت له :إياك أن تسيء إليهم ،سأبقر هذا الكرش أيها الحقير

فقال لي:اهدأ يا شمس ،إنهم لا يستحقون كل ذلك وهم موافقون على إهانة الناس لهم ،لم تتدخل أنت؟

تركته وذهبت وتحسرت على الأيام الخوالي الذي كانوا لهم قوة وعزم للرد على الحقيرين أمثال ذلك الذبابة الكبيرة.قال وأنا سائر :قريبا جدا سيتم أخذهم،قريبا جدا يا شمس.

وصلت القصر المهجور،وجدتهم مستيقظين بجوار القبر ،كل منهم يشعل سيجارته وينفث بغيظ وقوة الدخان.جلست على الأرض بجوارهم عند رأس أحمد وقلت لهم :كنت عند إسلام الليلة الفائتة

فقال طفشة:هذا المنافق المزيف الذي خان داخله

فقلت له:ليس حديثنا الآن عن الخيانة ،هو أرادني في أمر مهم

فقال قدس:ألقي علينا المهم ،وهل هناك شيء مهم في هذه الحياة من الأصل؟

فقلت :إنهم يحفرون وراء انتحار ابراهيم الواشي وسيحللوا الجثة قريبا ،يجب أن ترحلوا من هنا وهذا مال يكفيكم

فقال طفشة:لن نرحل ولن نأخذ شيئا ،نستطيع تدبر أمرنا

قال قدس:هل تظن أننا خائفين مما سيجدوا؟ ههه مستعدين أن نواجه ما فعلنا بلا عون منك أو من هذا المنافق،تدبر أنت أمورك فقط،ولكن لم تخفي جنونك؟إنه شيء مشع يُرَى في عينك ،أنت لست طبيعيا

قلت له:أعرف أني لست طبيعيا ولكني أحاول أن أكون ولكن هذا ليس موضوعنا ،أعرف أنكم لستم خائفين ولكن ممكن أن تُضعوا في السجن لذلك ،خذوا المال وارحلو وأنا سأرحل معكم

فقال طفشة:لن نرحل إلى اي مكان ،لأننا لا ننتمي لأي مكان،هنا عيشنا وهنا مواتنا

فقلت لهم:هل تظنوا بذلك أنكم تسعدون أحمد؟ والعدم المجيد إنه هراء فارغ ذلك

فقال طفشة :أحمد في العدم الآن ونحن كذلك في العدم ،لا ترى هذا السحر في التلاشي لكل شيء؟

كنت حزينا لما أسمعه ولما أعرف أنه حقيقة ولكني لا اعرف ماذا أفعل معهم ولا كيف أقنعهم بالعدول عن ما يفعلونه وما ينتظرهم .كنت عاجزا ككل مرة عن مساعدة ذاتي ومساعدتهم ولكني خائف جدا هذه المرة.سمعت صوت العصافير البهي ورحلت إلى بيتي.

هذا الولد المتعلم الذي يدرس علم النفس ،الأخ الأصغر لإبراهيم يشك في انتحاره وأقنع أبيه بجدوى تحليل الجثة ومعرفة ماذا أخذ وهل هو انتحار طبيعي أم لا ؟لأنه لم يكن يظهر عليه أبدا أنه مكتئب ولم يشكو من شيء.وأتت لجنة لتشرح الجثة ووجدوا مواد غير مواد المخدرات في جسده فدار الأمر في القرية أن أحدا ما سممه.

لا أعرف لو كنت معهم هل كنت سأشارك في قتل إبراهيم الواشي أم لا؟لم أكن أدري ما هي طبيعتي النفسية ؟ولا ما هي القرارات التي ممكن أن أتخذها في مواقف معينة؟ولكن الآن ما حدث حدث فيجب أن يهربوا لأن الشك يدور حول مجدي كونه كان مشهورا في القرية بالمواد الكيميائية فسيذهبون لبيته قريبا ليفتشوه بعد أخذ إذن الشرطة لذلك يجب أن يرحلوا ،كان امر الذهاب لبيته سريا ولكن إسلام عرف وأخبرني.

بدأ أهلي بالتحري عنيّ،أين كنت ؟ وماذا كنت أفعل؟ ولماذا عدت ؟وطلبوا بعمل جلسة عرفية حضرت فيها أنا وإسلام وكبار القرية ،بدأوها بالسباب والعار الذي جلبته لهم كوني كافرا وأنني يجب أن أتحمل مسؤولية كفري فقلت لهم أن يثبتوا أني مجنون وكافر اولا وبعد ذلك يأخذوا كل شيء. لم أكن مستغربا مما يفعلوه فهو كل ما يريدوه المال ولم أعر ذلك انتباها حتى.المهم عندي الآن هو مجدي ومازن أو طفشة وقدس.

كان مجدي ومازن قلقين ليس لاجل انهم سيتم القبض عليهم ان تم اثبات وجود المواد في بيت مجدي ولكنهم كانوا قلقين لانهم لم يقتلوا الشيخ الى الان.ذهبت الشرطة لبيت مجدي ،كنت سائرا في الشارع باحثا عنهم عندما وجدت الشرطة لكنهم كانوا في جبر .لم اكن اعلم ان الامر سيتم بهذه السرعة.اخذوا كل ما بالبيت بعد تفتيشه كله وقد كان البيت عبارة عن خرابة واسعة

،العدد الكيميائية والان ينتظروا تحليل هذه المواد فإن تطابقت مع مواد القتل سيكون هناك كلاما اخر.هم الان مطلوبين ومن يراهم يجب ان يبلغ عنهم.ذهبت الى جبر وجدتهم جالسين يدخنون الحشيش في مقابل بعضهم صامتين.

فقلت: الشرطة جاءت فتشت بيتك يا طفشة واخذوا كل شيء

فقال طفشة: وان فعلت ووجدت التطابق ؟ ،ماذا سيحدث

فقال قدس: سيسجنونا ههه لن نسجن لاننا مجانين والجميع يشهد بذلك

فقلت لهم : اهربوا الان ،لا تعرفوا ما هو المصح النفسي؟

فقال طفشة: لن يكون اكثر بشاعة من جحيم قلبك او قلبه او قلبك

قال قدس: عد من حيث اتيت ولا تاتي ثانية ،لن نهرب من شيء فعلناه

في هذه الاثناء كان الشيخ بذر الجميع في القرية للبحث عنهم فقد كان يكن لهم حقدا وكراهية كبيرة وبدا في ابتزاز اسلام بانه مشترك معهم في القتل وان ثبت ذلك سيحاكم لذلك عليه ان يقول اين هم واين يختبئوا .قال لهم اسلام انهم في جبر ،في هذا القصر المهجور.

جاءت الاخبار من المعمل ان المواد متطابقة وانهم هم القتلة .
فتحركت الشرطة اسرع حول المكان وبدءوا باطلاق الانذارات لهم ليخرجوا ،لم اكن خائفا الا عليهم ولكنهم طردوني لما اقتربت الشرطة اكثر فخرجت رافعا يداي وقلت لهم انهم غير مسلحين واستسمحتهم بعدم استخدام العنف بكل الوسائل وهم سيخرجوا.كان الشيخ يريد العنف ،يريدهم مقتولين فهكذا ستتحقق عدالة الله في الكفار،لأنهم إن ذهبوا للمصح لن يعانوا كثيرا وسيبقون يتنفسوا.سمعنا صراخا في القصر ،ومسكني المخبرين عن الدخول،كان يجب أن يدخلوا وبالفعل دخلوا ووجدناهم معلقين فوق القبر مشنوقين عرايا وجسدهم ملىء بالندوب كأنهم كانوا يجرحون أنفسهم باستمرار.

لم يكن عليكم يا أصدقائي إلا الكفر والصمت.